المشروع القومى للترجمة

# متون هرمس

## حكمة الفراعنة المفقودة

منتدى العقلانيين العرب
www.arab-rationalists.com

تأليف : تيموثى فريك و بيتر غاندى

ترجمة : عمر الفاروق عمر

المجلس الأعلى للثقافة

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٣٥٧
- متون هِرْمِسْ
- حكمة الفراعنة المفقودة
- عمر الفاروق عمر
- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

منتدى العقلانيين العرب
www.arab-rationalists.com

ترجمة كاملة لكتاب

**THE HERMETICA**

**The Lost Wisdom of the Pharaohs**

**Timothy Freke and Peter Gandy**

**Judy Piatkus (Publishers) Ltd. 5 Windmill Street, London, 1997**

**WIP 1HF,**

**ISBN O 7499 1735**

---

**حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة**

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

# إهـــــداء

إلى ذكرى جيوردانو برونو

( ١٥٤٨ - ١٦٠٠ )

**Mundus Nihil Pulcherrimum**

العالم عدم جميل

منتدى العقلانيين العرب
www.arab-rationalists.com

كرية للقارئ العربي وتعريفه بها . والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها
ثقافاتهم ، لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة .

# كلمة المترجم

عملت تقاليد الترجمة الحرفية – وربما الثقافات المنغلقة أو الضيقة أو المتحيزة – على تشويه مفاهيم مركزية تتصل بالعقائد، وكان من أخطرها ترجمة مفهوم (الكائنات الإلهية) بـ (الآلهة)، مما أكد انطباعا خاطئا عن عقيدة تعدد الآلهة التى رفضها هرمس (تحوت) فى متونه، وأصر عليها الفقهاء فى معظم التفاسير، كما كان لذلك أثره حتى فى الترجمة الحالية للنص الإنجليزى، وقد استبدلت بهذا المفهوم "الكائنات الإلهية" اتساقًا مع عقيدة تحوت .

وقد بذلت بعض الجهد فى التوسع فى الحواشى كما بذل أصدقائى، ولكنى تراجعت عنها وقد اقتنعت بالرأى الذى أشار إليه المؤلفان – ونبهنى إليه بعض الأصدقاء – من أن كثرة الحواشى كانت من بعض أسباب صعوبة انتشار المتون "وقد كانت كل الترجمات الإنجليزية التى نشرت حتى الآن كثيفة المادة، صعبة التناول، محملة بالحواشى بصورة يستحيل تنوقها"، ذلك بالإضافة إلى أن كافة الإشارات والتنويهات جاءت فى زمن لاحق حتى للترجمة اليونانية المأخوذ عنها .

وليس أحمل من هذه المتون للهوامش والحواشى، ولكنى اكتفيت بقلة تكاد تمثل اختلاف التنوع الهائل حول فكرة التوحيد وفكرة التناهى .

وليس فى النص الإنجليزى هوامش، والقليل الذى ورد هنا من وضعى، وأعتذر إلى القارئ مقدما عما قد يقع من أخطاء طباعية، فجلّ من لا يسهو .

منتدى العقلانيين العرب
www.arab-rationalists.com

## تنويه بالفضل

بالرغم من ألفتى السابقة بالهرمسيات من خلال التصوف الإسلامى وما كتب عن أعمال إخوان الصفا، كان لترجمة د. عطية عامر[1] الفضل فى جمع الرسائل فى سفر واحد. وأدين بالفضل أيضًا للأستاذ الكبير سعد الموجى وكريمته الكاتبة د. سحر الموجى، و د. محمد عبد السلام حسن، والأستاذ محمد عبد السلام قطرى، والأستاذ عبد المنعم عبد القادر، والأستاذ عبد الصادق شعبان، والشاعر عفيفى مطر، والدكتور محمد عيسوى أدين لهم جميعًا فى مراجعة النصوص والتنبيه إلى الصياغات المستخدمة فى اللغة العربية والإشارات الصوفية، وتعتبر مساهماتهم التى لم تنشر من مراجعى التى اعتز بها بعد أن عملت فى توسيع رؤيتى للمتون .

عمر الفاروق عمر، نوفمبر ٢٠٠٠

(١) "رسائل توت فى الحكمة والفلسفة" د. عطية عامر، مكتبة الأنجلو المصرية، إيداع رقم ٥٠٠٥ عام ١٩٩٩

## آخر كلمات مثلث العظمه هرمس

"كلمات حكيمة كتبتها يدى الفانية ، استمرت باقية على طول العصور ، مضمخة ببلسم الأبدية الذى أبدعه المعلم الأكبر. لم تكشفها عيون العامة الرائحين الغادين الجائلين فى خضم الحياة القفر.

وظلت خافية حتى خلق الرب قديم الإحسان الكائن الإنسانى الجدير بفهم حكمته".

وبعد أن قال هرمس مقالته تلك عن الكلمات التى خطّتها يده، استقبلته رحاب الأبدية فى مكانه العلىّ .

منتدى العقلانيين العرب
www.arab-rationalists.com

## مقدمة

## حكمة منسية

تعرف مجموعة المتون التى تضمنها هذا الكتاب فى الأدب والتصوف الإسلامى باسم الهرمسيات، وتعزى إلى الحكيم المصرى تحوت، والذى قيل عنه إنه تحول بحكمته إلى كائن ربانى، وقد قُدِّسَ تحوت فى مصر القديمة قبل عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد على أقل تقدير، كما يعزى إليه اختراع الكتابة الهيروغليفية[٢] المقدسة، وتصوره حائطيات المعابد المصرية والمقابر على شكل طائر تحوت. وقد كان رسول الآلهة وكاتب أعمال الإنسان، وهو الذى سوف يقرر فى الحياة الأخرى - فى قاعة المحكمة العظمى لأوزير- ما إذا كان المتوفى قد احتاز معرفة روحية وطهارة بحيث يستحق مكانًا فى السماء. ويقال أيضًا فى النصوص المصرية القديمة إن تحوت قد كشف للمصريين علوم الفلك، والعمارة، والهندسة، والطب، والإلهيات. وقد كان اليونانيون يبجلون المعرفة الروحانية المصرية، ويعتقدون أن تحوت هو بانى الهرم، وعرفوا تحوت باسم إلههم هرمس: رسول الآلهة، ومرشد الأرواح فى مملكة الموت. وقد أضفوا عليه لقبًا لتمييزه عن إلههم وهو "هرمس مثلث العظمة"[٣] Hermes Trismagistus لتكريم معرفته المتسامية. وتسمى المتون التى تعزى إليه باسم Hermetica .

وبالرغم من الجهل الفاشى حاليًا عن تحوت فقد كان بالغ الأثر على تاريخ الفكر الغربى بدءًا من اليونانيين، وحتى الاكتشافات التى أطلقت النهضة الأوروبية فى القرن السادس عشر. وقائمة المفكرين الذين اعترفوا بفضل تحوت تكاد أن تشكل موسوعة

منتدى العقلانيين العرب
www.arab-rationalists.com

( ٢ ) تتكون الكلمة من مقطعين: Hyro بمعنى ماينتمى إلى ملوك مصر، و Glyph بمعنى الشكل ذو الدلالة الكلية.

( ٣ ) ويعرف فى الهرمسيات الإسلامية باسم مثلث الرحمات.

كاملة من أكبر مفكرى العالم الغربى وعلمائه وفنانيه، ومن بينهم ليوناردو دافنشى، وبور، وبوتيتشللى، وروجر بيكون، وباراكيلسوس، وتوماس مور، ووليام بليك، وكوبيرنيكوس، ونيوتن، وولتر رالى، وميلتون، وبن جونسون، ودانييل ديفو، وشيللى وزوجته مارى، وفيكتور هوجو، وكارل يونج. كما كان أثره عميقًا على شكسبير، وجون دون، وكل الشعراء الفلاسفة الذين أحاطوا ببلاط الملكة إليزابيث الأولى، والأعضاء المؤسسين للجمعية الملكية فى لندن، وبلغ نفوذه حتى قادة الإصلاح البروتستانتى فى أوروبا. والقائمة لا تنتهى، حيث أثرت تعاليم هرمس على الحكمة والتصوف الإسلاميَيْن، كما حفظها التراث التنسكى اليهودى موحدًا بين هرمس ونبيهم إخنوخ[٤] (الذى يقال إنه النبى إدريس).

وتعتبر الهرمسيات حجر الزاوية للفكر الغربى، وتوازى – من حيث المادة والأهمية – نصوصًا شرقية مثل الأوبانيشاد والضاماباد والتاو تى تشينج، إلا أن تلك الأسفار أصبحت منشورة ومتاحة، فى حين دفنت الهرمسيات تحت ثقل الترجمات الأكاديمية، والتحيزات المسيحية، وغموض الأسراريين. ولم يحدث حتى تاريخ نشر هذا الكتاب أن أتيحت نسخة مبسطة للقارئ العام، وقد كانت كل الترجمات الإنجليزية التى نشرت حتى الآن كثيفة المادة، صعبة التناول، محملة بالحواشى بصورة يستحيل تذوقها.

وقد كان الهدف من هذه الترجمة البسيطة هو نشر الحكمة القديمة بشكل أسهل، وهى تقدم تلك النصوص المختارة من الهرمسيات بعناية، وبلغة مبسطة، ظهرت – فى شكلها الأخير– ملهمة، كاشفة مذاق تلك الحكمة الكلاسيكية المنسية .

(٤) فى النص الإنجليزى Enoch إينوك ، وهو "إخنوخ" فى النص العربى عن النسخة السريانية للعهد القديم . (المترجم)



## تاريخ الهرمسيات

يغلف الغموض الأصول المبكرة للهرمسيات، والدلائل تشير إلى أنها انحدرت مباشرة من الحكمة المصرية القديمة، ولكن النصوص القليلة الباقية من تعاليم هرمس وجدت باليونانية، واللاتينية، والقبطية، وجمعت فى مدينة الإسكندرية بمصر أثناء القرنين الثانى والثالث الميلاديين، حيث ألهمت الهرمسيات بعضًا من أعظم الإنجازات الفكرية فى العالم القديم. وكانت الإسكندرية فى ذلك الحين مركزًا عظيمًا للدراسة تفوق حتى على أثينا. ولقد هزم الإسكندر الأكبر اليونان، ومصر، وفارس، والهند، ووحَّدهم فى إمبراطورية عظيمة، وقد تجاورت وتلاقحت الثقافات التى نمت مستقلة عن بعضها البعض ولم يكن هناك بوتقة غير الإسكندرية لاستيعاب هذا التلاقح، وصبَّت فى تلك "المدينة العالمية" (GK. Cosmopolis) أفواج من الرجال والنساء من كافة الأمم والطوائف: من اليونانيين واليهود والمصريين والبابليين والفينيقيين وحتى البوذيين من الهند، ليتعايشوا معًا فى سلام نسبى .

وقد عُرف السكندريون بنهمهم للمعرفة فى ظل الحاكم اليونانى المستنير بطليموس الأول، والذى أنشأ مكتبة ومتحفًا شاسعَيْن، حيث جُمعت حكمة الإنسان بنظام لأول مرة فى تاريخه، وقد ضمت مكتبة الإسكندرية إبَّان ازدهارها حوالى نصف مليون مخطوطة، وكان من بينها أعمال اقليدس وأرشميدس و الفلكى بطليموس الذى كان يسيد علوم الهندسة والرياضيات والجغرافيا حتى القرون الوسطى، كما كان بها أيضًا أعمال أريستارخوس الساموِى الذى أثبت أن الأرض كوكب يدور حول الشمس، وإيراتوسثينز الذى حسب محيط الأرض بما لايتجاوز خطأً طفيفًا، وقد كان علماء المكتبة يعرفون التغير البطىء فى اتجاه محور دوران الأرض فى الاعتدالين، وأن القمر يحكم إيقاع المد والجزر. وقد كانت الإسكندرية ثرية أيضًا بالعرفان الصوفى، والفيثاغورتية، والعرافة الكلدانية، والأساطير اليونانية، والفلسفات البطلمية واليهودية والمسيحية، ومدارس الأسراريين اليونانيين، والزرادشتيين، والفلكيين، والسيميائيين، والبوذيين،

وبالطبع كان هناك أيضًا الديانة المصرية القديمة التى مارسها الجميع، ودرسوها، وناقشوها وقارنوها بغيرها.

وقد غربت شمس عصر الإسكندرية الذهبى مع مولد ما يطلق عليه الإمبراطورية الرومانية المسيحية "المقدسة" التى كانت متعصبة بشكل لم يسمح ببقاء التنوع الفكرى. وقد أطلق المسيحيون فى ذلك الوقت اسم "الوثنيين" (Pagans) على كل ما ليس مسيحيًا (وكانت تعنى تقريبًا سكان الأرياف) بالرغم مما كانت تمثله من فكر متعال وإنجازات ثقافية كبرى للقدماء. وفى عام ٤١٥ م قبضت طغمة من المسيحيين المتعصبين على هيباتيا – وهى عالمة وفيلسوفة من أكبر علماء وفلاسفة ذلك العصر – والتى كانت تعمل فى مكتبة الإسكندرية ومزقوا لحمها وأحرقوها، وقد كان زعيمهم القمّص كيرلس الذى عرف فيما بعد باسم القديس كيرلس. ودمرت مكتبة الإسكندرية فى النهاية تمامًا باعتبارها خرافات وثنية، وألقيت ثروة محتوياتها فى مهب الرياح، وأغلق الإمبراطور الرومانى المسيحى ثيودوسيوس كافة معابد الوثنيين فى الأقاليم، وبدأ تقليد حرق الكتب، الذى لم يكن معروفًا من قبل. وقد أصبح القرن الخامس الميلادى بالنسبة للغرب بداية الألف عام التى أسميت صدقًا بالعصور المظلمة.



## الهرمسيات فى الإسلام

يثبت التاريخ أنه أينما دُرست التعاليم الهرمسية واحترمت ازدهرت الحضارة. وقد هرب الحكماء الهرامسة بأدبياتهم – وتعاليم هرمس فى مركزها – إلى الحضارة العربية البازغة، وظهرت إمبراطورية إسلامية لم يسبق لها مثيل فى العالم خلال قرنين، بمعارفها ومنجزاتها العلمية، وفى بداية القرن التاسع أنشئت فى بغداد أول جامعة باسم "دار الحكمة" وقد ترجمت بها كثير من الأعمال "الوثنية"، وتطورت العلوم التى ازدهرت فى مكتبة الإسكندرية تطورًا صحيحًا، ودرست الحكمة الروحية ومورست. وقد احتلت الهرمسيات مكانتها المبجلة من بين نصوص الحكمة المصرية الروحانية، وصارت معرفة سرية لتيار هام فى الفلسفة الإسلامية، وصارت كتابًا مقدسًا للتوجهات الدينية غير الأصولية، كالصابئة.

ولم يكن ليقدر لنا أن نعلم شيئًا عن فرقة الصابئة الغامضة مالم يدخلوا فى صراع مع السلطة الدينية لزمانهم. وقد اعترى الإسلام بعد عدة قرون من وفاة رسوله محمد ﷺ نفس الخضوع للتوجهات الأصولية – التى أصابت المسيحية فى الغرب المسيحى – واستوجب ذلك اقتلاع "الزنادقة" بالعنف إذا لزم الأمر. وفى عام ٨٣٠م كان أحد الخلفاء يمر فى مدينة حرّان، ولفت نظره ملابس الصابئة الغريبة، وحاور قادتهم، وطلب منهم كتبهم، فسلموا له تعاليم هرمس. وقد كتب الفيلسوف العالم العبقرى الصابئ ثابت بن قرة دفاعًا عن الصبوة الهرمسية عام ٨١٠م:

« نحن ورثة الصبوة ومعلموها، بسعيد من يحتمل الاضطهاد بيقين ثابت، فمن غير نبلائهم وملوكهم حمل الحضارة للعالم ؟ ومن غيرهم بنى الموانئ وحكم الأنهار؟ ومن غيرهم علم الحكمة الخفية؟ ومن غير مشاهير حكمائهم أظهر الإله له ذاته فى العرافة بالمستقبل؟ لقد نشر الصابئة كل هذا العلم، واكتشفوا فن شفاء الجسد،

كما إنهم عرفوا فن شفاء الروح، وملأوا الأرض بحكومات مستقرة، وحكمة هى أعلى أشكال الخير، إن العالم بدون الصبوة سيكون موحشًا بائسًا . »

وفى فكر الإمبراطورية الإسلامية تيار عرفانى يعرف "بالصوفية"، ينتسب فى أصوله لمثلث العظمة هرمس، ومنهم كثير من الشعراء والعارفين. وقد أخذ الفيلسوف الإيرانى يحيى السهروردى على عاتقه فى القرن الثانى عشر الميلادي أن يربط بين ما أسماه "الدين الشرقى الأصلى" والإسلام، وقد قال بإن حكماء العالم القديم قد دعوا إلى مذهب وحيد والذى تنزّل على هرمس، وقد وحّده السهروردى مع النبى "إدريس" الذى ذكر فى القرآن، وعرفه اليهود باسم "إخنوخ"، وقال بإن هذه المعرفة انتقلت عبر اليونانيين على يد فيثاغورث وأفلاطون، كما انتقلت فى الشرق الأوسط عبر الزرادشتيين المجوس. وقد ورّثت هذه التعاليم سرًا خلال سلسلة من الحكماء المستنيرين حتى وصلت إليه شخصيًا على يد أستاذه الصوفى الحلاج، وليس من العجب فى شىء أن يُحكم على كليهما بتهمة الزندقة، وكان الصلب من نصيب الحلاج.



## هرمس وصحوة أوروبا

لقد هجر حملة التراث الهرمسى الإمبراطورية الإسلامية بعد أن أصبحت نافذة الصبر حيالهم، وسافروا بتراثهم إلى حيث يشعرون بالأمان، وفى القرن الخامس عشر وصل كثير منهم إلى دولة فلورنسا المتسامحة فى الشمال الإيطالى، حيث انبثق من هذه الحكمة مرة أخرى إلهام حضارة مزدهرة ؛ ففى ١٤٣٨ م قدم العالم البيزنطى **جيسيمو بليثون** إلى جمهور فلورنسا – الذى صعق دهشة – كافة الأعمال المفقودة لأفلاطون، وقد ترجمت هذه الأعمال "الوثنية" وغيرها إلى اللغة اللاتينية (عن العربية) للمرة الأولى. و أنشأ حاكم فلورنسا الإنسانى المستنير كوزيمو دى ميديتشى أكاديمية أفلاطونية جديدة ضمت مجموعة المثقفين والعرفانيين الذين وجدوا إلهامًا لهم فى الحكمة القديمة، وقد أثرت هذه المدرسة بعمق على مفكرين عظماء من أمثال **ليوناردو دافنشى، وميكيل أنجلو، وبوتيتشيللى**، ورفاييل، والذى بدأ فى رسم الآلهة الوثنية القديمة. وتعتبر لوحة **بوتيتشيللى** "فينوس ومارس" ( الزهرة والمريخ ) ، والتى رسمت فى لحظة فلكية معينة، "أيقونة للإشعاع الصوفى"، بقدرتها على نقل المشاهد إلى حالة من الوعى الروحى.

وقد أرسل كوزيمو رسله للبحث عن المعارف المفقودة التى تنتظر الاكتشاف، وعاد أحدهم عام ١٤٦٠م إلى فلورنسا بالتعاليم المفقودة **لمثلث العظمة هرمس**. وقد كان الفلورنسيون فى ذلك الوقت غارقين فى محاولة اكتشاف حضارة قديمة جليلة سبقتهم، وانتهت قبل زمنهم بألفى عام، وبمجرد النظر إلى تعاليم هرمس أقروا على الفور أن هذه الكلمات هى أقدم كلمات الحكمة على الإطلاق، و أمر كوزيمو مترجمه اليونانى الشاب **مارشيللو فيتشينو** بترك الترجمة التى كان يعمل فيها عن كتب أفلاطون ويتفرغ على الفور لهذا النص المصرى، وقد أنهى **فيتشينو** عمله لكى يقرأه على كوزيمو قبل وفاته مباشرة.

وكان ظهور الثقافة الفلورنسية الجديدة إيذانًا بنهاية عصور الظلام، ونحن نطلق عليها حقبة "النهضة" بمعنى "الميلاد من جديد"، وهو اسم مناسب تمامًا، حيث تحتل فكرة المولد الروحى من جديد قلب الحكمة الهرمسية.

لقد وصلت المعارف القديمة إلى فلورنسا فى وقت سعيد الطالع فى التاريخ، وبعد سنوات قليلة وصلت المطابع إلى فلورنسا حيث طبعت الحكمة القديمة ووزعت فى أوروبا، وحمل دارسو "التعاليم الجديدة" - بعد أن انتشرت أنباء التجربة الفلورنسية - ذلك لتراث الجديد القديم، وابتعثوا كسفراء ينشرون الاستنارة أينما حلّوا.

وقد ترك **ريوكلين** - "أبو الإصلاح" ومعلم **لوثر وإيرازموس**- فلورنسا وبذر أول بذور الإصلاح البروتستانتى فى ألمانيا، وأسس توماس ليناكر كلية الجراحين الملكية فى لندن. ويدين الرياضى **نيكولاس ألكوسى**، والطبيب **باراكليسوس**، والمعمارى **برونيليسكى** والفلكى **توسكانيللى** - الذى ألهمت خارطته **كريستوفر كولبس** - بالفضل فى استلهامهم للنهضة الفلورنسية، ويقظة روح الحكمة القديمة. ولم يكن اكتشاف كوبيرنيكوس المدوى أن الأرض هى التى تدور حول الشمس سوى اختيار أقره بعد دراسة الفلسفة الهرمسية والأفلاطونية فى جامعة إيطالية، وكتب فى أول صفحة من بحثه عن "دورة الأفلاك السماوية" الذى نشر عام ١٥٤٣م كلمات **مثلث العظمة هرمس** "الشمس هى الكائن الإلهى[٥] المرئى".

وقد نظرت ثقافة النهضة إلى العلم والفن والدين -شأن سابقتها السكندرية- باعتبارهم كلاً واحداً يدرس سوياً، وبذلك صارت جميع جوانب الحياة الإنسانية مجالات مشروعة للبحث، وقد كان هذا تحدياً للسلطات الكنسية الكاثوليكية، وكان أن سُحقت **فلورنسا** بمعونة ملك فرنسا عام ١٤٩٢م، وبالرغم من نهاية أيام ازدهار جمهورية فلورنسا، فقد كان الوقت متأخراً لمحو آثار الأكاديمية، ومنع موجات انتشار تعاليمها دوماً إلى خارجها، وانتشر علماء فلورنسا فى العالم الأوروبى الذى عرفهم باسم "**الجوهر الخامس**"، وانتشر معهم النهم إلى الفن الإيطالى، والنحت، والأزياء، والأدب، والفلسفة، وفى أقل من مائتى عام انتصرت النهضة فى أوروبا بالكامل.

(٥) ترجمة لـ God . انظر كلمة المؤلف .



## دين التوحيد

أثرت تعاليم هرمس تأثيراً عميقًا فى إنجلترا على دائرة رجال البلاط، الذين أحاطوا بالملكة **إليزابيث الأولى**، ومنهم **سير فيليب سيدنى، وسير والتر رالى، وجون دون، وكريستوفر مارلو، ووليام شكسبير، وجورج شابمان، وفرانسيس بيكون،** وقد تعلموا جميعًا من الحكيم المصرى.

وقد كان **اللغز** المحرك هو مُنجّم الملكة الخاص الهرمسى **جون دى** الذى كانت تسميه الملكة "فيلسوفها"، وكان دى رياضيًا نابغًا، وأول من ترجم الأعمال الكاملة لإقليدس إلى الإنجليزية، كما كان صاحب أضخم مكتبة فى إنجلترا، وكان بيته يعتبر الجامعة الثالثة بعد أكسفورد وكامبريدج، وكان الدارسون من كافة أنحاء أوروبا يزورونه، كما قام برحلة إلى براغ حيث كانت تعد أول حواش مفصلة عن التعاليم الهرمسية، وكانت براغ فى هذا الوقت عاصمة بوهيميا الجمهورية المستنيرة حيث وجد تلامذة هرمس، والفلاسفة، وأحبار اليهود، وعلماء كافة الأمم ملجأً فى بلاط **رودلف الثانى**، ففى حين تناوشت أوروبا الحروب بين الكاثوليك والبروتستانت اتخذت بوهيميا سمت الهرمسية.

وقد كان تلامذة الدين "المصرى" الجديد لمثلث العظمة هرمس - **مثل جيوردانو برونو** - يسافرون مبشرين إلى أصقاع أوروبا، وقد فسر **برونو** الكون الذى مركزه الشمس - والذى قال به **كوبيرنيكوس**- بطريقة صوفية تماماً، إذ وصفه بأنه "شمس بازغة جديدة فى فجر عصر جديد"، وقد كان يعتقد أن دين هرمس المصرى هو جد المدارس الأسرارية اليونانية، ودين موسى واليهود، ومهد المسيحية، وكان يعتقد أنه قد حان الحين لكى يصبح ذلك هو الدين الموحّد، هو الأرض التى يلتقى عليها اليهود وكافة طوائف المسيحية، والإسلام، ليحلوا الخلاف بينهم، ولم تظهر قوة قناعات برونو كما ظهرت فى قراره بالعودة إلى إيطاليا حيث قبضت عليه كنيسة الروم الكاثوليك

بعد قليل، واحتمل التعذيب ثمانى سنوات دون أن يتوب، وفى عام ١٦٠٠م أقتيد إلى ميدان الزهور فى روما حيث احتفل بإحراقه.

وقدر لراية الدين الهرمسى العالمى أن تخبو، ولكن نفوذها ظل مسيطراً بقوة على خيال الرائين والعلماء، وكان منهم على سبيل المثال **سير إسحاق نيوتن**، والذى كان - كغيره من أهل زمانه - مهتماً بالسيمياء وربها **هرمس مثلث العظمة**، وحقًا تعنى كلمة السيمياء "من مصر" (Alchemy)، وقد نشر الفلكى كيبلر مقتطفات من التعاليم الهرمسية فى أعظم أعماله "عن التناسق فى العالم"، وفى عام ١٦٤٠م احتفل الشاعر **جون ميلتون** بحكمة هرمس:

" فليضئ مصباحى ساعة منتصف الليل،
ليراه أحد البروج العالية الفريدة،
عندما أتأمل النجم القطبى،
وهرمس مثلث العظمة،
أو أن استحضر روح أفلاطون،
لأدرك أية عوالم شاسعة تلك التى تؤوى العقل الخالد،
الذى هجر مقامه فى هذه البقعة اللحيمة. "

**ميلتون، المتأمل** IL Pensaroso

## أفول مثلث العظمة هرمس

فى ذات الوقت الذى كتب فيه **ميلتون** قصيدته انسحبت الأرض من تحت أقدام أصالة الهرمسيات، وقد كان من المعتقد سلفًا أن هذه الأعمال سحيقة القدم - إذ تعود إلى قدماء المصريين - إلا أنه ظهر دارس يدعى **إسحاق كازابون** نشر عام ١٦١٤م تحليلاً نصيًا للهرمسيات أثبت فيه باقتدار أن الأجرومية، والمفردات، والشكل، والمحتوى التى تميز النص اليونانى لتلك المتون لا يمكن أن تعزى إلى زمن أسبق من القرن الثانى أو الثالث الميلادى، وأنها لم تكن أعمال حكيم مصرى، ولكنها نتاج قريحة تلامذة مدينة الإسكندرية، وأن فلسفاتهم لم تكن سوى خليط مدهش من الفلسفات اليونانية والمسيحية واليهودية ممتزجة بالتنجيم والسحر، وأن الأسماء المصرية التى زينت النص لم تكن سوى زخارف، وقد كان كازابون من أعتى الدارسين لليونانية فى زمانه، وانتشر نقده المدمر بتشجيع النظام الحاكم المسيحى المتعصب، وقد وجه كازابون ضربة قاصمة للحكيم المصرى، وهكذا قدر لمتون مثلث العظمة هرمس أن تنسى باعتبارها إفكًا وتزويراً .

ونحن نعلم - فى واقعنا المعاصر من ممارسات صحافة الفضائح - كيف يمكن أن تطيح "عملية بلطة" (hatchet job) بسمعة بعض الناس إلى الأبد ظلمًا، وهذا بالضبط ماحدث **لهرمس مثلث العظمة**، حيث كان **كازابون** دارسًا فحلاً، ولكنه كان مدفوعًا بقوى سياسية خفية، وقد كان الأصولى المتعصب **جيمس الأول** يحتل عرش إنجلترا فى ذلك الحين، واستخدم كازابون وغيره للإطاحة ببلاط إليزابيث الذى كان يميل إلى السحرية، ونفى الهرمسيين أمثال **جون دى**، وقد كتب **ميريك** ابن **كازابون** كتابًا عن والده - فيما بعد - صوره فيه كغيبى مضطرب، ومات **كازابون** وحيداً منسياً .

إلا أن بعض دعاوى **كازابون** عن الهرمسيات كانت صحيحة، فلا شك أن الهرمسيات **كانت ناتجة عن عمل كثير من المفكرين وليست عمل حكيم واحد، كما إنه لا شك في أنها** كتبت فى القرنين الثانى والثالث من زماننا، وقد نسبت هذه الكتابات إلى **هرمس** بالرغم من علمنا بأنها إسهام شارك فيه كثير من المفكرين، ولكن هذا لا يحط **من شأنهم** أو شأن **هرمس**، فقد كان من التقاليد السائدة للمفكرين **القدامى** أن ينسبوا أعمالهم للذى ألهمهم، وقد كان ذلك علامة على التبجيل وليس محاولة للخداع. أما عن التهمة الثانية، فقد كان **كازابون** مصيباً فى أن الهرمسيات كتبت فى القرنين الثانى والثالث بالإسكندرية، ولكن البراهين الحديثة تثبت أنها فعلا تطابق العقائد المصرية مرشحة من خلال طرق فهم الدارسين اليونانيين فى هذه الحقبة، وحتى لو افترضنا أن كافة ادعاءات **كازابون** مصيبة، فلن يغير ذلك من حكمة الهرمسيات، ومن أثرها العميق على أعظم العقول فى التاريخ، وبكونها أقدم من المتون اليهودية والمسيحية والإسلامية، وتعتبر متوناً مقدسة عظيمة فى العالم، وهى جديرة بالاحترام والدراسة لهذه الأسباب على الأقل.



## حكمة الفراعنة

فى الوقت الذى كان **كازابون** يكتب فيه دراسته، كان ما يعرف عن مصر القديمة قليل جدا، فلم تكن الهيروغليفية قد ترجمت بعد. حتى قرنين من الزمان بعد وفاته، وينحو كثير من الدارسين المعاصرين إلى لومه بالخطل فى أن يرى الحكمة الهرمسية كاختراع تم فى القرن الثانى، وخاصة بعد اكتشاف متون الأهرام فى سقارة فى نهاية القرن التاسع عشر، والهيروغليفية فى هذه المتون تعود إلى خمسة آلاف عام مضت، وهى تحتوى على مذاهب مثيلة لتلك الواردة فى الهرمسيات.

وهذا يدعو إلى الظن بأن الهرمسيات تحتوى حقًا على حكمة الفراعنة، وقد صاغها علماء الإسكندرية فى القرن الثانى –بالشكل الذى وصل إلينا– لتوسيع مجال قراءتها على طريقة الحوارات التى صارت تقليداً بعد أفلاطون ومحاوراته.

وقد احتوت الهرمسيات على مقاطع تذكر بالأعمال اليونانية، واليهودية، والمسيحية، ورأى كازابون أن ذلك دليل كاف على تزويرها، وأنها أبدعت من كومة مختلطة من تلك الفلسفات، وقد كانت الإسكندرية بيئة انتقائية بحيث يبدو ذلك ممكنًا، لكن الأقدمين أنفسهم كانوا يعتقدون بأن هذه النصوص قد ألهمتها الفلسفة المصرية التى ضمتها الهرمسيات، وقد عاش اليهود فى المنفى فى مصر بسنين طويلة وقد نشأ موسى أعظم أنبيائهم كمصرى فى بلاط الفرعون، كما عاش كثير من المسيحيين فى مصر، وكان اليونانيون يجلون معرفة المصريين، وقد رأو أنفسهم أطفالاً بالمقارنة بهم، وقد كتب مؤرخ يونانى قديم:

" إن المصريين متدينون إلى أقصى حد ، أكثر من أية أمة فى العالم ... وهم بالغو التدقيق فيما يتعلق بدينهم ... ولم يكن الأمر – إذا جاز القول – سوى أن اليونانيين لم يعلموا –سوى أمس الأول– شيئًا عن الآلهة ... لقد جاءت أسماء كل الآلهة من مصر ... فقد عرفت كل الآلهة فى مصر منذ الأزل ."

**هيرودوت**

لقد ادعى **كازابون** بشكل خاص أن الهرمسيات قد سطت على التيمايوس وهو عمل لأفلاطون يحتوى على مذاهب فى التنجيم والعود الأبدى مثل الهرمسيات، **إلا أن** تلك المذاهب لم **تؤثر** كثيراً فى **الدين** اليونانى، فمن أين أتت؟ والجواب هو: من مصر القديمة. لقد ارتحل الحكيم **فيثاغورث** قبل مائة عام من زمن **أفلاطون** بحثًا عن الحكمة فى العالم، وقد حمله ذلك إلى مصر، حيث أمضى اثنين وعشرين عامًا **فى معبد يتعلم** فيه **دين** المصريين. ويقول **المفكر اليونانى** القديم ديوجين **لايرتيوس** **إن أفلاطون** اشترى ثلاثة كتب عن المباحث الفيثاغورية القائمة على الحكمة المصرية، وقد ضمها إلى التيمايوس، ولا يثير التشابه بين التيمايوس والهرمسيات العجب إذن، حيث كانت جل أفكار **أفلاطون** سليلة الحكمة المصرية القديمة.



## الهرمسيات فى المسيحية الأولى

لقد أثرت الحكمة الهرمسية على المسيحية أيضًا من خلال آباء كنيسة الإسكندرية مثل القديس **كليمنت** والقديس **أوريجن**، ضمن الذين أدمجوا الدين المسيحى بالوثنية [بمعنى دين بسطاء الريف]، ويرجع إلى هؤلاء اللاهوتيين مفهوم العالم الذى افتتح به يوحنا إنجيله: "فى البدء كان الكلمة"، وقد كان **تحوت/هرمس** معروفًا لدى القدماء بأنه "كاتب الآلهة، وسيد الكلمة"، **ففى الهرمسيات ينطق الإله الكلمة التى "تبعث الهدوء فى اللجة الصاخبة"**، كما إن الكلمة سميت "ابن الله"، والمسيحية تطلق على المسيح "ابن الله" وأنه "تجسيد لقوة الكلمة"، وقد كتب **القديس أوغسطين لاهوتى القرن** الرابع واسع النفوذ ، والذى كان يعرف الهرمسيات:

" إن مايدعى الدين المسيحى، كان يوجد بين القدماء، ولم يحدث أن انعدم وجوده أبدًا، ومنذ بداية الجنس البشرى حتى تجسد المسيح، وبدأ منذ ذلك الحين إطلاق اسم المسيحية على الديانة التى وجدت سلفًا."

### القديس أوغسطين ( التوبة )

وليس من شك فى شدة أثر الهرمسيات على المسيحية الأولى، وقد اكتشفت هرمسيات عام ١٩٤٥م فى آثار المسيحيين الغنوصيين من القرن الأول الميلادى، واعتمادًا على ملحوظة دونت على أحد النصوص، فقد امتلك المسيحيون **الأوائل** كثيرًا من نسخ الهرمسيات، وكانت هناك على بعد ياردات قليلة من الموقع **المكتشف** آثار مقابر مصرية قديمة، وقد سكنها المتنسكون المسيحيون مثل القديس **باخوميوس** مؤسس أول مجتمع رهبانى مسيحى، وقد كانت حوائط تلك المقابر منقوشة بالهيروغليفية، والتى تعزى إلى الإله العظيم **تحوت** (**هرمس** مثلث العظمة)، وكانت هذه الكتابات تصف إعادة النشأة الروحية فى معرفة الإله، وقد حج إليها كثير

من المسيحيين الغنوصيين الأوائل لينكبوا على أعمال هرمس، وقد كتبوا فى إشعاع نفوذها القوى فلسفتهم فى غنوص الخلاص[٦]، وهى المعرفة المباشرة من الإله يمنحها المسيح عيسى بن مريم.

وكل الدلائل الآن تشير إلى أن كازابون كان مخطئًا فى رفض الهرمسيات ببساطة باعتبارها تلفيقًا لخليط من فلسفات مختلفة، فلا شك أن الهرمسيات كتبت فى الإسكندرية لجمهور من قراء اليونانية، ولكنها تحتوى على صدى قوى للحكمة القديمة التى تأسست عليها، وهى تقدم إلينا نافذة من أفضل النوافذ للنظر إلى ماضى مصر السحيق. وبمعونتها نستطيع فهم الرؤيا الصوفية التى ألهمت الفراعنة بناء هرم الجيزة الرهيب، ولكن ما هى الفلسفة الهرمسية التى كان لها ذلك النفوذ العميق على بعض من أعظم عقول العالم على مر التاريخ؟

(٦) كلمة Gnosis اليونانية : المعرفة الدينية .



## عقل الإله

هناك فكرة بالغة البساطة فى قلب التعاليم الهرمسية هى أن الإله هو العقل الأكبر، وكل مايوجد ليس إلا فكرة فى عقل الإله، فهذا الكتاب فكرة فى عقل الإله، وجسدك فكرة فى عقل الإله، وهذه الأفكار التى نناقشها هى فكرة فى عقل الإله، فكيف يمكن أن نفهم ذلك؟

خذ تجربتك أنت فى اعتبارك لحظة، فالأفكار والمشاعر توجد فى عقلك أنت، وتعرف العالم الخارجى من حولك عن طريق حواسك، والتى تستوعبها أيضًا فى عقلك، وحين يكون عقلك غير واع، فأنت لا تمارس شيئًا، وفى النهاية لا يزيد كل ما يوجد فى حياتك عن الفكر الذى يطّرد فى عقلك، إلا أن عقلك محدود بطبيعة احتباسه فى جسد مادى، فتصور لحظة أن العقل قد أصبح حرا ليعى كل شىء، فى كل الأزمنة والأماكن، سوف يوجد فى عقلك كل ما كان وكل ما هو كائن وكل ما سوف يكون، وهذه هى طبيعة عقل الإله، فلا جسد يحده، فهو العقل الأعظم، الذى يوجد فيه كل ما يمكن أن يوجد.

ويصف هرمس عقل الإله بأنه الوحدة التى توحد كل شىء، فماذا يعنى ذلك؟ انظر مرة ثانية إلى خبرتك: فأنت تمارس كثيراً من الأشياء المختلفة بعقلك، وأنت الآن تقرأ فى هذا الكتاب، وقبل ذلك كنت تأكل مثلا، أو تتمشى فى الريف، إلا أن هذه التجارب المختلفة يمارسها شىء واحد، هو عقلك، وبنفس الشكل، فعقل الإله هو الوحدة التى توحد كل شىء.

ويقول هرمس إن تلك الوحدة تحوى كل المتناقضات، وهذه المتناقضة يمكن أن تُفهم بالنظر إلى طبيعة عقلك مرة ثالثة، فمن خبراتك إنه يوجد ماهو بارد أو ماهو ساخن، ماهو منير أوما هو مظلم، ما يمكن أن تدعوه حسنًا ومايمكن أن تدعوه سيئا.

وليس هناك فيما تخبره مايمكن أن يكون بارداً وساخناً فى ذات الوقت، حيث إنها أضداد، ولكن الإحساس بالبرودة والسخونة صفة فيك، فعقلك هو الشىء الوحيد الذى يحوى الأضداد جميعاً.

يعلمنا **هرمس** أن عقل الإنسان مصنوع على شاكلة عقل الإله الأعظم، فإذا قيض لنا أن نحرر عقلنا من المحددات التى يفرضها كياننا المادى نستطيع معرفة عقل الإله الأعظم، ولقد خلقنا لنتعلم كيفية تحقيق هذا الهدف المحدد، وهذا هو الغرض الروحى من حياة الإنسان، ولا محيص لنا من استخدام عقولنا الصغيرة كى نصل إلى العقل الأعظم.

ويحكى لنا **هرمس** حكاية درامية، عن كيف يخلق الإله الكون، وكيف يحفظه، ونستطيع أن نعرف الإله عن طريق الإحساس بروعة الكون وفهم أسس القوانين التى يعمل بها، وقد كانت هذه الرؤية هى التى ألهبت خيال العقول الكبرى فى تاريخ الإنسان، وألهمت ميلاد علوم جديدة بتشجيعهم على البحث فى كيفية عمل الكون، ومازال بعض العلماء المعاصرين مثل **ألبرت آينشتين وستيفن هوكنج** يصفون العلم بأنه محاولة لفهم المزيد عن عقل الإله. وتضع الفلسفة الهرمسية الإنسان فى مركز الخلق، ويقول هرمس بأن الإنسان أعجوبة، فإنه يستطيع بعقله أن يدرك الكون وحتى أن يعرف الإله، وهو ليس مجرد جسد فان سيعيش ثم يفنى، فهو روح خالدة لو استطاع تحقيق الميلاد الروحى من جديد، وقد يصير كائناً إلهياً .



## نسخة جديدة من الهرمسيات

لايمكن لكتاب بهذا الحجم أن يتسع لكل التعاليم الهرمسية، ولكنه - على أفضل تقدير - يلهم ويذكى نكهة المذهب المركزية، والنصوص الباقية من الحكمة الهرمسية هى الكتب الثمانى عشرة المعروفة بالمتون الهرمسية Corpus Hermeticum (والكتاب الثامن عشر مفقود)، بالإضافة إلى الأسكليبيوس والتيمايوس وشذرات مختلفات، وهذه النصوص كثيفة صعبة التناول، إلا أننا حاولنا فى النسخة الجديدة التى بين يديك أن نتخير مفاتيحها ونقرنها ببعضها، بحيث نظهر الحكمة الأساسية منها والشعر الكامن فى معانيها، ونحن إذ نفعل ذلك نشعر بأننا نسير فى طريق حكماء الإسكندرية، الذين جمعوا هذه المتون من مادة سحيقة القدم، وجدت لديهم آنذاك، وحاولوا جعلها مستساغة للقراء فى عصرهم، وقد أشرنا إلى مراجعنا فى ثبت المراجع، ولكن بالنسبة لمعظم القراء فيكفيهم العرض المطرد لجوهر الهرمسية، مركزاً فى أقسام سهلة التناول .

وكما هى الحال فى كثير من النصوص اليونانية، فالتعاليم الهرمسية مطروحة فى شكل محاورات بين أستاذ وتلميذ، وتتغير الأصوات فى النصوص المختلفة وهو أمر يثير الاضطراب، وقد اكتفينا بتقديم مونولوج لهرمس موجهاً إلى القارئ، وبالرغم من استخدامنا للكلمة "الإله" فى الحواشى التوضيحية لكل متن منها، فقد تجنبنا استخدام هذه الكلمة فى المتون ولجأنا إلى استخدام كلمة "آتوم"، وهو احد الأسماء المصرية القديمة للإله الواحد المتعالى، وقد شعرنا أن استخدام هذه الكلمة سوف يترك للقارئ فرصة بناء تصوراته عما يعنيه هرمس بها، متحررة من كل الارتباطات المبنية على كلمة "الإله".

وقد كان تقديم نسخة جديدة من عمل مكتوب بلغة أجنبية - ويستخدم مفردات فريدة المفاهيم - امراً بالغ الصعوبة) فهرمس ذاته يكتب فى الكتاب السادس عشر

من المتون الهرمسية نصًا بالغ القدم، وتناوله كثير من المترجمين، وكانت ترجمته أبلغ صعوبة:

**"فى مقبل الزمان ستصير تعاليمى أكثر غموضًا، عندما تترجم إلى اليونانية من لساننا المصرى، حيث تشوه الترجمة كثيرًا من معانيها.**

**إن هذه التعاليم تبدو بسيطة واضحة فى لغتنا الأم، حيث يردد صوت الكلمة المصرية معنى ما يقصد بها.**

**ولا بد من اتخاذ كافة الاحتياطات الممكنة حتى لا تفسد هذه النصوص المقدسة بالترجمة إلى اليونانية، التى هى لغة مغرورة، ضعيفة، متمظهرة، غير قادرة على احتواء القوة التى فى كلماتى.**

**إن اللغة اليونانية تنقصها قوة الإقناع، والحكمة اليونانية لغو فارغ.**

**لغتنا المصرية هى أكثر من مجرد كلمات، فإن مخارجها تفيض بالقوة."**

لقد كان صوت الكلمة فى اللغة المصرية القديمة ذا خاصية سحرية تدعم معناها، وهو مبدأ فى اللغة نتبناه بلا وعى عندما نتحدث عن هجاء الكلمات لتأكيد معناها، وترجمة النص المصرى إذن تعنى بالضرورة فقدان القوة والوضوح الأصليين (الآن) هرمس يعلمنا أيضا أن قوة العقل يمكن أن تحقق كل شىء، ولقد حاولنا كما يعلمنا هرمس أن نستخدم قوة التأمل لتقطير جوهر تعاليمه لجيل جديد من الباحثين عن الروح.

وبالرغم من أن الثقافة الإنسانية قد تغيرت -بما لا يقاس- منذ زمان المصريين القدماء، فإن أسرار الحياة قد بقيت على حالها، وستبقى على هذه الحال إلى ماشاء الله. أما الواعون بهذه الأسرار، فإن تعاليم هرمس واضحة لهم اليوم كما كانت واضحة فى الماضى السحيق للواعين على شاكلتهم، ونأمل أن تكون هذه النسخة الجديدة قادرة على تجسيد الرؤيا الهرمسية بقدر الإمكان، لتلعب دورًا صغيرًا فى استعادة الحكمة القديمة بالتبجيل الذى تستحقه.



## ١. نبوءات هرمس

**يصف هرمس فى هذا المتن طبيعة الحكمة الخالصة، وينعى فقدانها التام لأجيال المستقبل.**

ليست الحكمة التى يدعو إليها **هرمس** مجرد رياضة ذهنية، ولكنها تركيز العقل على التأمل العميق فى أتوم (وهو اسم مصرى قديم للإله الواحد)، وهذه الحكمة البحتة تستهدف التعالى على مجرد الآراء، بحيث يباشر الإنسان عقل الكون، ويستخدم عقله الصغير – عطية الإله – كى يعرف العقل الأعظم الذى خلق الكون وحفظه فى نظام بديع.

والحكمة الروحية عند **هرمس** لا تتعارض مع العلوم كما هو الحال فى زماننا هذا، فطالب الحكمة الروحية يدرس العلوم لوجه الإله، يعلوه جلال رهبة الخالق عندما يفهم أسرار الحياة الطبيعية) ويعجب بنظام الكون المتكامل كما لو كان ينصت إلى سيمفونية عظيمة، يأتلف فيها كل لحن بكل الألحان ببراعة، مؤلفة تناسقًا بديعًا.

إلا أن **هرمس** يتنبأ بأن هذه الحكمة الروحية سوف تشوش وتفقد فى يوم ما، يأتينا حديثه من أغوار الزمان المنصرم ليصف المحنة التى نعانيها اليوم، فقد أزاحت تعاليم مثقفين أذكياء بالحكمة الخالصة دون فهم صوفى للحياة، وتوقف الناس عن مشاهدة الكون كمصدر للعجب، ولم يعودوا يقدسونه كعمل للإله، وقد أطاح العلم بالحكمة الخالصة باعتبارها خرافة بدائية، واعتبر دين المصريين دينًا ميتًا ومجرد إضافة صغيرة على أعمال التنقيب الأثرى، ويتنبأ **هرمس** بأن مصر التى كانت مقرًا للروحانية سوف تصبح خاوية قد هجرتها الكائنات الإلهية.

وحدبًا على أجيال المستقبل يكتب **هرمس** حكمته فى متون، ويأمر بإخفائها، إنه قنبلة موقوتة تفجر الحقيقة، رأتها بصيرة **هرمس** انتظارًا لفرصة توقظ فيها أجيال المستقبل التائهة الحائرة فى الحياة مثلنا.

الحكمة الخالصة هى الجهد الروحى فى التأمل المستمر للوصول إلى معرفة الإله الواحد آتوم.

لكن سيأتى زمان لا يطلب فيه أحد بذل جهد فى الحكمة بطهارة قلب ووعى[٧].

إن أولئك الذين يحملون الضغينة فى نفوسهم سوف يحاولون منع الناس من اكتشاف هبة الخلود التى لا تقدر بثمن.

فالحكمة ستصير غامضة مغلقة بصعوبة الفهم وستفسدها النظريات الوهمية، وسوف تشتبك فى حيل العلوم المحيرة كالرياضة والموسيقى والهندسة.

**إن دارس الحكمة الخالصة هو دارس لكل العلوم لا كنظريات مهومة، بل كولاء لآتوم، إذ إن تلك العلوم تكشف عن عالم كامل النظام بقوة الأرقام، فقياس أعماق البحار، وقوة النيران، وضخامة أجرام الطبيعة: تذكى الرهبة أمام إبداع الخالق وحكمته.**

إن أسرار الموسيقى تشهد على مقدرة لا حد لها للصانع المتعالى، الذى نظم - فى جمال - كل تلك الأصوات المتنوعة فى وحدة شاملة، مفعمة بنغم جذاب.

**حب طاهر لآتوم يؤيده فكر وتوحد قلب، واتباع الخير الذى يريده، هو الحكمة التى لا تلوثها الأهواء الدنيئة أو الآراء الفارغة.**

**غير إنى أتوقع أن يأتى فى قادم الزمان متكلمة أذكياء، غايتهم خداع عقول الناس لإبعادهم عن الحكمة النقية[٨].**

( ٧ ) "يتولى السفهاء ويقضى الجهال" حديث شريف، (الجامع الصغير) السيوطى.

( ٨ ) "ولكن كان فى الشعب أنبياء كذبة كما سيكون فيكم أيضا معلمين كذبة" ، ( رسالة بطرس الرسول الثانية، إصحاح ٢/١ )



وفى تعاليمهم سوف يدّعون أن إخلاصنا المقدس كان بلا جدوى، وأن تقوى القلب وعبادة آتوم التى يرفعها إليه المصريون ليستا سوى جهد ضائع.

مصر صورة للسماوات ويسكن الكون كله هنا فى قدس معبدها.

لكن الإله سوف يهجرها، ويعود إلى السماء، ويرتحل من هذا البلد الذى كان مقرًا للروحانية.

ستصبح مصر مهجورة، موحشة، محرومة من وجود الإله، يحتلها الدخلاء الذين سيتنكرون لتقاليدنا المقدسة.

**إن هذا البلد الزاخر بالمعابد والأضرحة، سيضحى مليئًا بالجثث والمآتم.**

والنيل المقدس سوف تخضّبه الدماء، وستفيض مياهه محمّلة بالقيح.

**هل يحملك ذلك على البكاء؟**

**بل سيتبع ذلك ماهو أنكى.**

فهذه البلاد التى علمت الروحانية لكل الكائنات الإنسانية، وأحبت الإله يومًا بولاء عارم فتفضل بالإقامة فى أرضها، هذه البلاد ستتفوق على الجميع فى العنف.

سيتجاوز عدد الموتى الأحياء وعدد الذين اختفوا من على وجه الأرض، وسيعرف المصريون بلغتهم فقط،أما أعمالهم فلن تختلف عن أعمال الأجناس الأخرى.

آه يا مصر!

لن يبقى من دينك شىء سوى لغو فارغ، ولن يلقى تصديقًا حتى من أبنائك أنت نفسك.

**لن يبقى شىء يروى عن حكمتك إلا على شواهد القبور القديمة.**

سيتعب الناس من الحياة، ويكفون عن رؤية الكون كشىء جدير بالعجب المقدس.

وسوف تصبح الروحانية، التى هى أعظم بركات الإله مهددة بالفناء. وعبئا ثقيلا يثير احتقار الغير.

ولن يكون العالم جديراً بالحب كمعجزة من خلق آتوم، ولا كشاهد عظيم على فضله الأصيل، ولا كوسيلة للإرادة الربانية التى تذكى فى مشاهدها الإجلال والحمد.

ستضحى مصر أرملة.

فكل صوت مقدس سيجبر على الصمت.

وتفضّ الظلمة على النور، ولن ترتفع عين إلى السماء.

سيدمغ الصالح بالبلاهة، وسيكرم الفاسق كأنه حكيم.

وسينظر إلى الأحمق كأنه شجاعاً وسيعتبر الفاسد من أهل الخير (٩).

تصبح معرفة الروح الخالدة عرضة للسخرية والإنكار، ولا تُسمع ولا تُصدق كلمات تبجيل وثناء تتجه إلى السماء.

لقد كنت الشاهد من خلال العقل الواعى على ماخفى فى السماء، وبالتأمل وصلت إلى معرفة الحقيقة، وصببتها فى هذه المتون.

هاأنذا هرمس العظيم ثلاثاً، أول إنسان وصل إلى جماع المعرفة، سجلتُ فى هذه المتون أسرار الإله فى رموز خفية، بحروف مصرية مقدسة، فى أمشاق على هذه الصخور، وأخفيتها لعالم المستقبل، الذى سوف يحاول الإنسان فيه البحث عن حكمتنا المقدسة.

(٩) لياتين على الناس زمان يكذب فيه الصادق ويصدق فيه الكاذب، ويؤتمن الخؤون، ويشهد المرء ولم يستشهد، ويحلف وإن لم يستحلف، ويكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع لا يؤمن بالله ورسوله
حديث شريف (الجامع الصغير) للسيوطى



## ٢. إرشاد هرمس

**يصف هرمس فى هذا المتن رؤية صوفية لخلق الكون، وقد تأسس عليها كافة تعاليمه.**

يمنح **هرمس** الحكمة من وحى صوفى درامى وهو فى انتباه عقلى ولكن فى سكون وفراغ، ويسمع صوت الإله يتحدث إليه، ويسأله هرمس أن يكشف له حقيقة الواقع، فيأخذ كل شيء فى التحول أمام ناظريه.

ويشهد فى رؤية صوفية صورة خلق العالم، وليس المقصود بهذه الصورة أن تستوعب بالعقل، ولكن بالتأمل الصورى للحلم، ولكننا يمكن أن نستكشف بعضاً من معانيها العميقة.

وقد كانت بداية الرؤيا هى النور الإلهى الغامر، الذى يتحول تحت ناظريه إلى ظلال كالمياه المظلمة الصاخبة، ويقال له إن هذا هو عقل الإله، وإن المياه الصاخبة هى الاحتمالات اللانهائية التى فطر منها الإله العالم.

وكانت هذه هى الرؤية الصوفية لبدء الخلق. وهى قريبة بدرجة مدهشة للنظرية الحديثة للانفجار الكبير (Big Bang)، وهى انفجار الضوء والطاقة الذى يبرد رويداً ليصير الرحم المظلم للفضاء، يولد فيها الشموس والكواكب، وأخيراً يولد الإنسان.

والميلاد - كما هو شأن كل ميلاد - مقترن بآلام، ويسمع **هرمس** صرخة متألمة غامضة من الأعماق، ثم ينطق النور بالكلمة التى تبعث الهدوء فى اللجة الصاخبة، وقد كانت هذه الكلمة مثل نموذج سوف ينبنى عليه هيكل منظم للكون من الفوضى، وقد يطلق العلم الحديث عليها "القوانين الأساسية للطبيعة". وهذه الكلمة هى الفكرة الأولى فى عقل الرب، ينبثق منها كل شيء.

وعندما تبصر **هرمس** فى أسرار الخلق، تلقى الرسالة من الكائن الأعلى، فالمعرفة فقط هى التى يمكن أن تنقذ أولئك الذين يعيشون فى الظلام، فعليه أن يصبح المرشد الروحى لكل بنى البشر.

" **تعطلت حواسى أثناء تهدج صوفىّ، لا نَصَبًا ولا تذمرًا، بل انتباهًا وخلوصًا واعيًا.**

أطير مع أفكارى متحررًا من جسدى .

وبينما كنت محلقًا، نادتنى باسمى كينونة هائلة بلا حدود:

"**هرمس** علام تبحث؟ "

سألت "من أنت؟"

**قال "أنا المرشد، أنا العقل السامى، أنا أفكار آتوم الإله الواحد.**

معك أنا دائما فى كل مكان.

أعرف مكنون قلبك، صانع أنا لأسئلتك الواعية ومهيئ أنا الإجابة عليها".

**قلت متوسلاً: "أرنى طبيعة الواقع، وباركنى بمعرفة آتوم" .**

فجأة تغير أمامى كل شىء. وانفتح الواقع فى لحظة لأرى **المشهد اللانهائى**، وذاب كل شىء فى النور متوحداً بحب غامر.

لكن النور ألقى ظلالاً كئيبة رهيبة، تهدر كأنها فيض مياه صاخب، ثم سمعت **صرخة ذبيحة، ثم نطق النور بكلمة** بعثت الهدوء فى **اللجة** الصاخبة.

سألنى مرشدى:

"ألا تفهم سر هذه الرؤية؟

أنا النور، **فكر الإله الأزلى الذى كان قبل هيولى ظلمة مياه الإمكان.**

كلمتى التى بعثت الهدوء فى الصخب هى ابن الإله. هى **فكرة النظام الجميل** الذى يتسق به كل شىء مع كل الأشياء.



**الفكر الأول هو أبو الكلمة ويوازى – فى خبرتك الإنسانية – فكرك الإنسانى** الذى يلد الكلام.

فلا يمكن فصلهما حيث ينبجس الواحد من الآخر، إذ إن الحياة هى اتحاد العقل والكلم.

والآن، أعمل فكرك فى النور، وتوحد معه"

ثم إنه نظر إلىّ كواحد إلى واحد فرأيت الفكر – وأنا أرتعد – قوة لا حد لها فى جوهر النور، تشكل عالمًا متنوعًا بلا نهاية، ولكنه منضبط بلا حدود،

وتعاظمت دهشتى.

ورأيت فى ظلام الأعماق مياهًا صاخبة لا شكل لها، نفذت إليها نسمة ذكاء من قوة ربانية.

**وفاضت كلمة آتوم على المياه الصاخبة لتجعلها حُبلى بجميع الأشكال.**

**ووُجِدَت العناصر الأربعة باتساق الكلمة، واتحدت لتكون جميع الأحياء.**

عنصر النار جلىّ كأبراج النجوم، والكائنات الإلهية فى السماوات السبع تدور **فى أفلاكها إلى الأبد.**

ثم إن الكلمة رفعت من عناصر الطبيعة، تعودَ إلى فكر الصانع، تاركة المادة الحية **مجردة من الذكاء.**

قال مرشدى :

"لقد أدركتَ **لا نهائية الفكر الأول التى كانت قبل البداية** بمشيئة آتوم، والتى خَلَقَت عناصر الطبيعة، **انعكاسًا للفكرة الأولى فى مياه الإمكانية.**

تلك هى النماذج **السابقة الأولى**: أصول كل شىء فى الكون.

كلمة آتوم فكرة خالقة، وقوة سامية لا نهائية، **تغذى وتخصّب جميعَ الأشياء، وتخلق كل شىء.**

لقد أطلعتك على **كل الأمور فماذا تنتظر؟**

اكتب الحكمة التى فهمتها بحروف مصرية وانقشها على حجارة قدس الأقداس.

واجعل نفسك مرشداً روحياً لأولئك الذين يستحقون المعرفة فينقذ آتوم على يديك الإنسان" .

مَدينٌ أنا بالحمد للأب الواحد، الذى أفاض علىَّ نظرةً علوية.

"وأدعوك آتوم بخشية وتبجيل، متوسلاً ألا أضل طريق تلك المعرفة التى أبدعتَها، حتى أرسل النور لأولئك الذين مازالوا فى ظلام.

وبدأت الحديث بالقوة التى مُنحتها: فكان هناك من يضحك على البعد من كلماتى، وكان ثمة من يسجد بين يدى.

وطلبت منهم القيام حتى يتلقوا بذور الحكمة التى أود أن أغرسها فى نفوسهم بتلك التعاليم.

"أنصتوا يا من خُلقتم للفناء

وإن توانيتم فى الإصغاء ستتخطاكم كلماتى

لتعود إلى المنبع الذى منه أتت" .



## ٣. كينونة آتوم

**فى هذا المتن يحاول هرمس أن يصف الإله (آتوم) بالرغم من أن الكلمات لا تحيط بوصفه، ويقدم لنا بعض المفاتيح للتأمل.**

الإله هو الوحدة، وكل شىء جزء من الكائن الواحد الأعلى، مثل الواحد الذى هو منبع كل الأرقام التالية، الإله منبع كل شىء، ولكن مثل الرقم واحد الذى يبقى واحداً سواء أضرب فى نفسه أو انقسم عليها، فالإله يبقى دائماً وحدة واحدة (لا تتكاثر ولا تنقسم).

وطبيعته متناقضة، حيث إنه يوحّد كل شىء، فهو الخالق لذاته، خفى عنا دوما، ولكنه أيضا العالم الذى يحيط بنا، وليس له اسم معين، لأن كل الأسماء تصفه.

الإله هو العقل الأعلى، فهو دائم فى الزمان وفى كل مكان، وعقل الإنسان صورة من عقل الإله الأعظم، ويستطيع بقوة المخيلة أن يحيط بالكون ويصبح كالإله فى كل مكان وزمان، ويقول لنا **هرمس** إننا لو فهمنا حقيقة القوة الكامنة فى العقل البشرى فسوف نعرف طبيعة الإله.

كل شىء يوجد كفكرة فى عقل الإله، ويخلق كل شىء بنفس الطريقة التى يخلق بها عقلنا الأفكار، وكما إن طبيعة العقل البشرى هى أن يفكر ويخلق أفكاراً، فإن عقل الإله يفكر ويخلق كل شىء. وليس هذا أمراً تحقق فى بداية الخلق فقط، ولكنه دائم الحدوث، إن الإله يخلق الخلق دوماً، ولن يفتر مطلقاً.

إن الإله هو فى نفس الوقت الأشياء المادية الكثيفة التى تحيط بنا كما إنه الأفكار اللطيفة فى عقولنا، والعالم الذى نراه ونحسه هو وهم لو قارناه بالأفكار العظمى التى فى عقل الخالق، وفوق كل الأفكار يعلو الإحسان والجمال، وهاتان الصفتان تنتميان بكمالهما إلى الإله وحده، ولكننا نلمح منهما صورة ناقصة فى العالم المادى، ولكنهما توجدان بكمالهما فى العقل، حتى إن الإله أحبهما، فالإله "أجل مبتهج بذاته"[10] .

(١٠) عبارة من رسالة "البهجة والسعادة" لابن سينا .

استجمع شتات فكرك، وانتبه بكامل وعيك لمعرفة كينونة آتوم، إذ إنها تتطلب بصيرة عميقة، تنبثق فقط كهبة تكريم، كمياه تنحدر فى شلال، تفوق سرعتها قدرة الإنسان على المتابعة، تاركة المتعلم والمعلم وراءها.

إدراك آتوم شاق وتحديده مستحيل،

فلا يستطيع الناقص والفانى إدراك الكامل والخالد بيسر وسهولة.

آتوم هو الواحد الصمد، غير متحرك ومع ذلك هو أصل الحركة ذاتها.

لا يشوبه نقص.

هو الباقى دوماً، هو الخالد أبداً.

هو الواقع الحق كما إنه المطلق الأكمل الأسمى.

هو جُماع الأفكار التى لا تدركها الحواس، ولا تدركه المعرفة مهما عظمت.

آتوم هو الفكر الأول، هو أعظم من أن يطلق عليه اسم آتوم.

هو الخفى المتجلى فى كل شىء.

تُعرف كينونته بالفكر وحده، وتدركه عيوننا فى الآفاق.

لاجسد له، ولكنه فى كل شىء.

وليس هناك ما ليس هو.

لا اسم له: لأن جميع الأسماء اسمه.

هو الجوهر الكامن فى كل شىء.

فلنعرفه بكل الأسماء ولنعرف كل شىء باسم آتوم.

هو مصدر ومنبع كل شىء.

كل شىء له منبع سوى ذات آتوم، التى نبعت من ذاته.

آتوم كامل، كمثل الواحد الذى يبقى واحداً لو ضرب فى ذاته، أو قسم عليها، ومنه تأتى كافة الأرقام.



آتوم هو كل الكل، ويحيط بكل شىء، هو الواحد الذى ليس كمثله شىء، هو الكل، وليس هو الكثرة.

الوحدانية تشتمل على كل الوحدات، ولكنها ليست الأشياء الكثيرة كما تراها متفرقة.

أما حين تراها متعلقة بالواحد، ونابعة من الواحد، يمكنك إدراك وحدتها، يرتبط بعضها ببعض، يضمها تناسق الوجود من أعلاه إلى أسفله، وتخضع جميعها لإرادة آتوم.

الكون واحد، والشمس واحدة، والقمر واحد، والأرض واحدة، فهل يجوز الظن بتعدد الآلهة؟

هذا محال فالإله واحد.

آتوم وحده هو البارى لكل ما هو ثابت ولكل ما يتغير.

إن كنت تظن إن هذا غير معقول ففكر فى ذاتك أنت، إنك ترى، وتسمع، وتتكلم، وتلمس، وتتذوق، وتمشى، وتفكر، وتتنفس، وليس كل هذا بغريب عنك.

إن ذلك الذى يستمتع بكل تلك الملكات هو كائن واحد يحملها جميعاً.

إن أردت أن تعرف كيف خلق آتوم كل شىء، ففكر فى فلاح يبذر البذور، قمحاً هنا، وشعيراً هناك، وشجرة عنب الآن، وشجرة تفاح بعد ذلك.

فكما يزرع الفلاح كل تلك المزروعات، فقد غرس آتوم الخلود فى السماء والتغير على الأرض، حيث تنتشر الحياة والحركة.

إنهما أعظم ظاهرتين فى الكون: تشيران إلى آتوم ومخلوقاته، كما تنبئان عن كل شىء فى الوجود [11].

(١١) وحيث يتشاكل الإنسان مع السماء والأرض، فليس فى صراع معها، وقانونه يرعى النظام فى العالم، ولا ينبو عن الصواب (فى شىء)، هو فاعل فى كل أين، ولكن ينكر على نفسه الغرور، وفى السماء بهجته، فيعلم المصير، وتسقط عنه الهموم، ويرضى بما قسم له، ويصدق فى رحمته، فيشعر بالحب." I Ching (كتاب التحولات)، ترجمة وحواشى Richard Wilhelm عن الصينية، وقدم له C. G. Jung، وترجمته إلى الإنجليزية Cary F. Banes، وصدر عن Bollingen Series, Princeton University Press، الطبعة الثالثة، ١٩٦٨.

ليس آتوم أباً لأنه خلق كل الأشياء، وليس إنسانًا يجاهد لميلاد طفل استمرارًا للحياة، بل هو يعمل فى الطبيعة حسب قانون الضرورة ليبدع الموت، والنشور من جديد، ويعمل على دوام الخلق.

للكشف عن حكمته: اعلم أن ماتراه العين أشباح وأوهام.

أما الفكر فهو الحقيقة، وأفكار الجمال والجلال هما اسماها، وإن لم ترها عين.

وطالما عجزت العين عن رؤية كينونة آتوم فإنها لا تستطيع رؤية الأفكار العظمى التى يتصف بها آتوم وحده.

ليس ثمة نقص فى آتوم فليس هناك ما يتمناه.

ليس ثمة ما يفقده آتوم فليس هناك ما يمكن أن يصيبه بالحزن.

آتوم هو كل شىء.

خالق هو لكل شىء.

كل شىء جزء من آتوم.

آتوم خالق ذاته بنفسه وتلك هى عظمة آتوم.

كينونته الحقّة هى قدرته على الخلق، ويستحيل أن يتوقف عن الخلق، ويستحيل أن يتوقف عن أن يكون.

آتوم فى كل مكان، فالفكر لايمكن أن يحاصر بسياج، وكل ماهو موجود خاضع للفكر فليس هناك ما يماثله فى السرعة والقوة.

انظر إلى وجودك أنت، وتخيل نفسك فى بلد غريب، وستكون هناك بفكرك كما تخيلت.

فكر فى المحيط، وهناك ستكون، لا لأنك سافرت، فأنت لم تتحرك كما تتحرك الأشياء.

حلّق فى السماء بلا اجنحة فلن يعوقك وهج الشمس أو دوران النجوم.

تقدم بفكرك إلى حدود الكون إن اردت.

هل يمكنك أن تشعر بالقوة التى تمتلكها؟

إن استطعت ذلك، ففعل هذا كله، ثم فكر من يكون بارئك، وحاول أن تفهم أن آتوم هو الفكر.

انظر كيف جمع آتوم الكون. فكل شىء هو فكر آتوم."



## ٤. تأمل الخلق

**يعلمنا هرمس فى هذا المتن كيف نرى الإله بتأمل خلقه.**

إذا نحن نظرنا إلى العالم بعيون أجسادنا فقط فليس الإله بظاهر لنا، ولكن إذا نظرنا بفكرنا فسوف نراه بفهم روحى، وفجأة ينبثق الإله من كل مكان، وفى هذه الحالة المتعالية، نعرف أن كل ما نرى، وما نلمس، هو جزء من الإله، ونفهم أن غرض الإله من خلق العالم هو أن نراه فيه.

والكون هو الجسد الذى أبدعه، ونحن نستطيع أن نراه فى نظام الكون البديع وجماله، ويحضنا **هرمس** على تأمل الدورات الثابتة للأجرام فى سماء الليل، وقانون المصير الذى يسميه الضرورة، والخير والإحسان فى كل شىء كان وكل شىء يكون، فهل يمكن لكل هذا الكمال أن يكون خلوًا من عقل أعظم يحفظ مثل ذلك النظام البديع؟ وهل يمكن أن يحدث كل هذا كصدفة؟

إنه يذكرنا بمعجزة ميلادنا نحن، فمن خلقنا فى الرحم؟ ومن ذا الذى صنع تفاصيل أجسادنا الفريدة؟ فالتماثيل والتصاوير لا تحدث عرضًا بل تحتاج لنحات ورسام، ولا شك أن العمل الفنى الجميل المعقد الذى هو أجسادنا هو عمل صانع أسمى، والرأى الحديث هو أننا نتاج قوانين الطبيعة، و**هرمس** لا يرفض ذلك الرأى لكنه يسأل ببساطة: ومن ذا الذى سن تلك القوانين؟

إن هرمس يحاول أن يعيدنا إلى حواسنا الغضة الطفولية بالإحساس بالرهبة أمام عجائب الحياة، فالعالم معجزة، ولكننا نأخذه مأخذ المعطيات المسلمة، فإذا نحن استغرقنا فى التأمل يتضح أننا محاطون بأسرار عميقة، فالكون عمل فنى مروع الضخامة أبدعه خالق قدير، والتواضع والدهشة هما أوليات العرفان بالإله.

" سل آتوم أن يبعث شعاعًا من ضيائه ليمنحك القدرة على فهم كينونته العليّة بفكرك، حيث لا يفهم ما خفى عن الحس إلا بالفكر الذى هو خفى أيضًا.

فإذا لم تكن ترى الأفكار فهل تتوقع أن ترى آتوم؟

انظر بفكرك إذن وسوف يظهر لك متجليًا بلا تحفظ فى العالم أجمع، فترى صورته بعينيك وتلمسها بيديك(١٧) .

هل تعتقد أن آتوم خفى؟

لاتقل ذلك! فليس هناك ما هو أكثر وضوحًا من آتوم.

لقد خلق كل الأشياء بحيث تراه من خلالها.

هى رحمة آتوم العظيمة التى جعلته ظاهرا فى كل شىء.

فيمكن أن يُعرف كل شىء حتى ماهو غير المادىّ، ومثلما يُعرف العقل بالأفكار، كذلك يُعرف آتوم بخلقه.

آتوم هو صانع الأبدية المطلق، ينسج كل شىء فى نسيج الواقع، وحيث إن الخلق منظور نستطيع رؤية الخالق، وهذا هو غرض الخلق.

وحيث إنه لا يتوقف عن الخلق، فهو أبدًا ظاهر للعيان، حتى نفكر، ونتعجب، ونعلم أننا قد باركنا بمعرفة الأب.

تفكر بعقلك كى تعرف كينونة آتوم، وتراه بعينيك، وترى أى نظام بديع فى الكون:

الضرورة هى التى تحكم كل ما ترى، والخير والإحسان فى كل ما كان وفى كل ما سوف يكون.

أنظر إلى الحياة التى تملأ المادة، اشهد آتوم فى ترددها.

تسكن فى جسده القديم، والذى يتجدد أبدا فى عنفوانه.

(١٢) قال منشيوس: "كل الأشياء مكتملة فى داخلنا" وبتعبير آخر، إن طبيعة الإنسان الفطرية ليست كاملة فحسب بل هى أيضا نوع من عالم مصغر يمثل أو يحوى [illegible] كما يقول منشيوس: "من يعرف تمامًا طبيعته الذاتية يعرف السماء". الفكر الصينى من كونفوشيوس إلى ماوتسى تونج، هـ. ج كريل، ترجمة عبد الحميد سليم، الألف كتاب الثانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب.



وانظر إلى الكواكب الدوارة فى الزمن الأبدى، وإلى نيران السماء الروحية التى تحيلها الشمس ضياءً وتشع بالخير على العالم.

انظر إلى القمر المتغير أبدًا يحكم الميلاد، والنماء، والفناء.

انظر إلى النجم القطبى، لا يشرق، ولا يغرب. لكنه ثابت فى نقطة على محور تدور حوله الأبراج والكواكب.

انظر إلى الشهب التى تدعى "نجوم النبى" تظهر عدة أيام من بيتها الخفى تحت دائرة الشمس عندما ينتظر العالم مصير جديد.

فمن ذا الذى يحافظ على مثل هذا النظام البديع؟

الشمس أعظم ملائكة السماء، إنها كملكٍ يقدم إليه الآخرون فروض الولاء.

إلا أن ذلك الملك القوى يخضع بتواضع، لتدور فوقه الكواكب الصغيرة، فمنذا الذى يطيعه هذا الملك بخشية؟

وكل نجم يسبح فى مداره فى الكون، فلماذا لا تسير جميعها فى مدار واحد؟

ومن ذا الذى كلف كلاً منها بمداره؟

النجم القطبى يدور حول نفسه، ويحمل معه الكون بكامله.

فمن ذا الذى أسند إليه هذا الواجب؟

ومن ذا الذى أرسى الأرض وجعلها شواطئ للبحار؟

لا بد أن يكون لكل هذا صانع وسيد.

ولا يمكن أن تكون قد حدثت بذاتها

كل الأنظمة لا بد أن تخلق، ولا يخرج عن ذلك القياس سوى ماهو حادث بالصدفة.

إلا أن انعدام النظام فى حد ذاته طوع للسيد الذى يفرض عليه النظام.

إذا كان من الممكن أن نكتسب أجنحة نطير بها بين السماء والأرض، فسوف نرى الأرض الصلبة، والأنهار الجارية، والرياح الجوالة، والنيران الثاقبة، والأنجم الدوارة، والسماء الحاضنة تحيط بكل شىء.

فأية سعادة أن نرى كل ذلك محمولاً على ومضة واحدة لإدراك المحرك غير المتحرك، الذى يتحرك فى كل ما يتحرك، الخفى الذى يتجلى فى كل أعماله ؟

تأمل للحظة كيف تأتّى لك أن تخلق فى الرحم.

فكر فى صنع القادر وابحث عن الصانع الذى أبدع جمال صورة الخالق.

فمن ذا الذى أدار حدقة عينيك؟

ومن ذا الذى فتح أنفك وفمك وأذنيك؟

ومن ذا الذى مد أربطتك وربطها ببعضها؟

ومن ذا الذى أنشأ عظامك وكسى لحمك بالجلد؟

ومن ذا الذى سوّى أصابعك وبسط قدميك؟

ومن ذا الذى شكل قلبك وجوّف رئتيك؟

ومن ذا الذى جعل جمالك ظاهراً، وأخفى قبح أحشائك؟

كم من الصنائع صنعت، وكم من الأعمال أبدعت لتجسيد المخلوق الإنسانى؟

فلا التماثيل ولا التصاوير تحدث من تلقاء ذاتها دون عمل ناحت أو راسم.

أفلا يكون لهذا العمل المتعالى من خالق؟ "



## ٥. الكون الحىّ

**يشرح هرمس بإيجاز فى هذا المتن جوهر أفكاره الفلسفية، ويرسم صورة للكون ككائن حى يموج بالحياة.**

فى البدء كانت الوحدة، ثم إنها انقسمت إلى قوتين أساسيتين -كالموجب والسالب فى تيار كهرباء - ولّدا كل الأشياء. ويسميهما هرمس "النور والحياة"، واللذان تحولا إلى العقل والروح، ونسبرهما كالأفكار والمشاعر.

فوحدانية الإله هى النور والحياة معًا، وهاتان القوتان هما والدا العقل والكون، وقد سبق أن رآهما هرمس فى رؤيته الصوفية فى "الكلمة التى بعثت الهدوء فى اللجة المظلمة"، وهما قوانين الطبيعة الأساسية التى تبعث النظام فى الفوضى.

والكون المادى هو انعكاس كامل لذلك المبدأ المنظِّم، وهو عقل الكون. وعقل الكون (الكلمة) هى بدورها انعكاس كامل لعقل الإله، كما تفصح الكلمة المنطوقة عن نية قائلها. وحيث إن الإله هو الإحسان المطلق، فالكون خير مطلق.

وحيث إن الكون مصنوع على صورة خالقه، فهو أيضا كائن خالد. ومن المستحيل أن يموت فيه أى جزء، ففى بداية الحمل به أُفعم بالطاقة، والتى أثبت العلم الحديث أنها لا تفنى ولا تستحدث، فالطاقة ذاتها خالدة وليست هى الأشكال التى تتحقق بها

والإله هو منبع تلك الطاقة التى تخلق الحياة من خلال قوانين الطبيعة، وعقل الكون يستقى الطاقة من الإله ويمنحها لكل ما فيه، وفى هذه العملية السرمدية يمتلئ الكون بالروح، وهى قوة الحياة، وكل ما فيه حى، وليس فيه ميت حتى الجوامد، فالكون هو الكائن الحى الشاسع الذى يمنح الحياة للكائنات الصغرى التى يحتضنها، فهو الكل الذى يغذى أُجزاءه، مثل أب رؤوم يعتنى بأبنائه.

العقل الأول الذى هو حياة ونور، خَلَق عقل الكون.

والعقل الأول ثابت لا يتحرك، خالد لا يتغير، يحتوى على عقل الكون الذى لا تدركه الحواس.

والكون الذى تدركه الحواس، هو نسخة وصورة من عقل الكون الخالد، كأنه انعكاس فى مرآة.

فأول الخلق بلا بداية آتوم، وثانى الخلق الكون، مخلوقًا على شاكلة آتوم، خالدًا أبدًا.

ولأن كل ما فى الكون هو جزء منه، فمن المستحيل أن يموت.

والكون هو الحياة بأجمعها.

ومن أسس الحياة الأول، لم يوجد شىء إلا وينبض بالحياة.

فلم يكن. ولن يكون فى الكون أبدًا ما هو ميت.

آتوم هو النور، ومصدر الطاقة الخالد أبدًا، مانح الحياة ذاتها أبدًا، والتى يحكم مددها قوانين الكون الخالدة.

كينونة الكون هى فى الطاقة الخالدة أبدًا، والتى تنبع منها كل أشكال الحياة، ويستحيل عليها أن تتوقف أو تفنى، تضمها وتربطها قوة الحياة الأبدية.

ويمنح الكون هذه الحياة لكل الأشياء التى يحتويها، فالأبدية تمنح الكون الحياة، والكون بدوره يمنح الحياة كل ما فيه.

والعقل والروح تجسّد للنور وللحياة، وكل شىء يتحرك بقوة الروح.

وجسد الكون - الذى يحتوى كل الأجساد - مشبع تمامًا بالروح

والعقل يضىء الروح بكاملها، والعقل ينبع بتمامه من آتوم.

والروح تملأ وتحيط بجسد الكون بكامله، وتمنح الحياة للمخلوق العظيم الكامل الحى الذى هو الكون، والذى يمنح بدوره الحياة لكل المخلوقات الأدنى التى يحويها.

والكون هو الكل الذى يولّد ويغذى كل مكوناته كالأب الذى يحدب على أبنائه.

ويستمد الكون قوامه من إحسان آتوم، وتلك هى قوة الخلق العظمى الحقيقية، فالكون صورة آتوم. وحيث إن آتوم هو الخير المطلق، فكذلك الكون هو خير.



## ٦. دورة الزمن

**يكشف هرمس فى هذا المتن عن طبيعة الزمن والتغير.**

يتغير كل شىء فى الزمن أبدًا، تولد الكائنات، ثم تفنى، ثم تعود للوجود من جديد، كالنباتات التى تموت كل شتاء، لتبزغ بادرات جديدة فى كل ربيع، وكل هذه التحولات تحكمها قوانين طبيعية لا تفتر، وبهذه القوانين يمكن القول بأن الكون ثابت بالضرورة لا يتغير.

ينظم الزمن عمليات التغير الطبيعية فى الكون، ويقاس بدورات الشمس والكواكب التى تدور فى أفلاك ثابتة دائمة، ويرى **هرمس** الزمن كالدائرة، فى حين نراه نحن فى منظورنا الحديث كالخط المستقيم من الماضى إلى المستقبل، إلا أننا فى الواقع نقيس الزمن كدائرة، فاليوم دائرة زمن تبدأ بشروق الشمس وتبدأ ثانيا عند شروقها فى اليوم التالى، والعام دائرة زمن تقاس بدورة الأرض فى فلكها حول الشمس، وهناك دورات شاسعة للزمن تحسب بحركة أفلاك النجوم. وكل هذه الدورات بالضرورة تعيد الأمور إلى ما كانت عليه فى البداية، ومن المستحيل القول بأينية تلك البدايات، فليس للدائرة نقطة بداية، ولا سبيل للقول بنهايتها.

ويشير **هرمس** إلى فهم أعمق للزمن، حيث ينتهى وجود الماضى، والمستقبل آت ولم يوجد بعد، والحاضر لا يكاد يوجد فى عدم ثباته، فاللحظة تنتهى حتى عندما نقول "الآن". ولا يمكن أن نمسك بالحاضر، فبأى وجه يمكن القول بوجوده؟ وهذا الفهم الصوفى لطبيعة الزمن الوهمية، هى طريقة للتبصر فى وحدانية الإله الذى وجد فيما وراء الزمن. فليس للإله ماض ولا مستقبل ولا حاضر، وليس له غير الأبدية. وتحررنا من ربقة وهم الزمن هو واحد من المداخل التى نجرب بها الربوبية.

"بمعنى ما، فالكون لا يتغير، إذ تخضع حركاته لقوانين ثابتة تجعله يدور إلى الأبد بلا بداية أو نهاية.

وأجـــزاؤه تظهـر، وتـختـفى، وتُخلق من جديد مـرة بعـد مرة، فى نبضـات الزمن التى لا تفتر.

ومن خلال الزمن تنتظم الحياة وتستمر.

ويجدد الزمن كل شىء فى الكون بدورة التـحولات التى تضبطها الكائنات الإلهيـة السماوية: تعود أبدًا إلى مواضعها فى دورانها السرمدى.

ينبثق الحاضر من الماضى، وينبثق المستقبل من الحاضر.

وتتوحد جميع الأشياء بهذه الديمومة.

والزمن كـالدائرة، تتصل نقاطهـا حتى إنك لا تسـتطيع تحـديد أولها من آخـرهـا، حيث تتبع كل نقطة ما يسبقها وتتبعها ما تلحقها إلى الأبد.

إلا أن هناك فهمًـا أعمق، حيث ينسلخ الماضى ولا يكون أبدًا، والمستقبل لم يولد بعد ليكون، وحتى الحـاضـر لا يسـتمـر، فكيف يمكن القـول بوجوده إذا لـم يكن ثابتًـا للحظة واحدة؟ ."



## ٧. الكائنات الإلهية

**يناقش هرمس فى هذا المتن الطرق العديدة التى يدير بها الإله الكون.**

كان المصريون القـدماء يرون سمـاء الليل بنجومـهـا كـجسد مـلاك أسود مرقط بالنجـوم، ويراها **هرمس** مـلاك المصيـر الأعظم، الذى كـتبت قـوانينه التى لا تفـتـر فى مجرّات النجوم التى لا تتغير ، وتدور الكواكب أمام تلك الخلفية يحكمها ملاك المصير تحكم وتقدر لكل ما على الأرض.

وبالرغم من أن مجـرات النجوم تحتوى على أقدار كل شىء، فالكواكب الخمسة السيارة والشمس والقمر هـى القوى التـى تقدر القضـاء والقدر ؛ ولهذا يسمى هرمس تلك القوى بالكائنات الإلهية.

ويحـكم المصــير من خـلال القضـاء والقدر كل الخليقـة، ويصبون تيارًا لا ينقطع من قـوة الحياة فى كل أشكال المادة، بحيث يجعلونها متغيرة أبدًا من حال إلى آخر، فى عمليـة نسميها الحياة والموت، ويحكمهم ملاك المصير، الذى يعمل على أن يتسق كل ما يقدرونه من القضاء مع المشيئة الإلهية.

والملاك "رع" هـو الذى يرسل الطاقـــة إلى الأرض، وفـى حين أن الإله هـو النور الخـفىّ الذى لا يرى بعين الجـسـد، فـإن "رع" هو النور الظاهر، الذى يشع من مـركـز

فالشمس هى صورة الإله، والإله يمنح الحياة للكون برمته، والشمس تمنح الحياة للحيوان والنبات على الأرض . وضوء الشمس يغذى الطبيعة بنفس الطريقة التى يغذى بها نور الإله أرواحنا.

خُلق عـقل الكون من النار والهـواء، والأفـلاك السـبـعـة التى تحكم المصـيـر، والكواكب الخمسة المرئية والشمس والقمر، تحكم مداراتها عالم الحواس.

وهذه القوى الكونية تدرك بالفكر وحده، وتسمى الكائنات الإلهية، وهى تترأس العالم.

ويرأسها ملاك المصير الذى يعمل على تحولات الأشياء تبعًا لقانون النماء الطبيعى، ليخلق من الواقع الدائم الثابت عالمًا مطرد التحولات.

ويحكم آتوم الكائنات الإلهية السماوية، ويمتح منها فى المادة فيضًا لا ينقطع من الروح.

والمادة رحم خصب يحمل كل شىء.

وتتشكل المادة فى كل الأشكال، وتحولها طاقة الروح دومًا من شكلٍ لآخر.

ويشرف آتوم على هذه التحولات بحيث يقدّر لكل شكل روحًا تناسبه فى مقام الكائنات.

والأرض هى مستودع كل المواد التى تعطى، ثم تأخذ بدورها الحياة من الأعالى.

والشمس "رع" توحّد السماء والأرض، وترسل طاقتها من الأعالى، وترفع المادة من الحضيض.

ويجتذب رع إلى ذاته الحياة، ويهب الحياة من ذاته بلا توان، يمنح الضياء للجميع.

ولايقتصر نفع رع على السماء وحدها، بل يحيط أيضًا بأعماق الأرض الخفية.

ليس رع مثل آتوم: فآتوم هو النور الخفى الذى لا يدرك إلا بالعقل وحده وبالتأمل الواعى.

أما "رع" فهو كائن فى الزمان والمكان، ويمكن أن نجتليه بأبصارنا ينشر الضياء فى الكون، يحتل المركز، ويلتف به الكون كإكليل يستضىء به من كل الجهات.

ويدع رع الكون سائرًا فى مداراته ولكنه لا يسمح له بأن يضل، فقد ربط الكون إليه كقائد عربة ماهر بمقود من ضياء، يمنعها من الاندفاع فى فوضى.

والشمس صورة من الخالق المتعالى عن السماء، وكما يمنح الخالق الحياة للكون يمنح رع الحياة للحيوان والنبات.

وجسده مصدر الضياء المرئي، وإذا كان هناك ما هو أشبه بالمادة التى لا تدركها الحواس، فإنها صادرة من ضياء الشمس، أما كنهها وكيف تشع فآتوم وحده يعلم.

وتصب الشمس دومًا ضياء وحياة، حيث يغذى "رع" كل النباتات لتثمر ثمارها الأولى التى نتجت بضيائه وبيديه القويتين أخرج العطور الحلوة من أزهارها.

إن أرواحنا تتغذى بنفس الطريقة - كالزهور السنوية - بنور آتوم وحكمته، وفى المقابل علينا أن نكرّس - فى خدمته - كل ما ينمو فى داخلنا."



## ٨. تراتب الخلق

**يلخص هرمس فى هذا المتن تعاليمه عن الطريقة التى يخلق بها الإله الكون ويسيره بكل مافيه من مخلوقات.**

خلق الإله مبدأ منظِّما هو عقل الكون، وهذا المبدأ المنظِّم يعمل أبدًا على صهر المادة التى فى حالة فوضى إلى مخلوقات بديعة تنتظم الكون المادى. والزمن هو أحد المبادئ التى رُتب عليها الكون، ووجود الزمن يعنى أن كل شىء فى الكون دائم التحول بقدر محدد.

والإله هو الخير الذى يخلق الحياة، وعقل الكون هو القوانين الأساسية للطبيعة والمبادئ الثابتة التى لا تتغير والتى تحكم الحياة، والكون المادى هو نظام الطبيعة الجميل الذى توجد من خلاله الحياة. والزمن هو المبدأ الحاكم للكون بفرضه للتغير، والتغير المستمر هو العملية التى يحياها كل ما يعيش وكل ما يموت.

وعقل الكون هو فكرة تحققت من عقل الإله، والكون المادى هو خاطر قد تحقق فى عقل الكون، وقلب الكون هو الشمس التى تمنح الحياة ، وهى صورة من الروح التى تنبثق منها الحياة فى قلب كل ما يحيى

" خلق آتوم عقل الكون،

وعقل الكون خلق الكون،

والكون خلق الزمن،

والزمن خلق التغير.

جوهر آتوم هو الإحسان الأول،
وجوهر عقل الكون هو الثبات والمثلية،
وجوهر الكون هو النظام الجميل،
وجوهر الزمن هو الحركة،
وجوهر التغير هو الحياة.

يعمل آتوم بالعقل والروح،
ويعمل عقل الكون بالخلود والدوام،
ويعمل الكون بالبدء والعود،
ويعمل الزمن بالزيادة والنقصان،
ويعمل التغير بالكيف والكم.

وعقل الكون فى آتوم،
والكون فى الأبدية،
والزمن فى الكون،
والتغير فى الزمن.

عقل الكون مرتبط أبداً بآتوم،
والكون مكون من الأفكار التى فى عقل الكون.

وعقل الكون صورة من آتوم،
والكون صورة من عقل الكون،
والشمس صورة من الكون،
والإنسان صورة من الشمس. "



## ٩. خلق الإنسان

**بعد أن تناول هرمس المبادئ التى خلق الإله الكون على هديها، يعرض فى هذا المتن لخلق الإنسان.**

خلق الإله الإنسان لأنه أراد أن يوجد مخلوق قادر على الإحساس بجمال الكون الخارق، وقد طلب من كائنات القضاء والقدر الإلهية أن تمنح الإنسان بعضاً من قواها. فتكفلت الشمس بالفرح، وتكفل القمر بالنوم، وتكفل زحل بحدود العدالة والضرورة، وتكفل المشترى بالسلام، وتكفل المريخ بالصراع، وتطوعت الزهرة بالحب والبهجة، وتولى عطارد (هرمس) الحكمة.

ويفكر الإله فى الإنسان فيوجد، وفى البداية كان الإنسان مجرد روح، ليست بقادرة على تحقيق الرعاية على الأرض كما أراد الإله، فحبسها فى جسد مادى فانٍ كمنزل لروحه الخالدة، ومن أجل هذا خلق الطبيعة، وهى كالمرأة الجميلة التى جعلها الإله سيدة العالم، فهى تنتج بنور الحياة الطبيعية، وقد رأت فى الإنسان صورة الإله فأحبته وتوحدت معه، وهذا مثل امتزاج الروح والجسد، والذى خلق كلاً منّا. وقد أصبح للإنسان طبيعة مزدوجة من جسد فان وروح خالدة، ونحن نمجّد كلا الجانبين فى طبيعتنا عندما نخدم الإله برعاية العالم الطبيعى حسب مشيئته.

وقد منح الإله الإنسان هبة عظيمة هى القدرة على التناسل، ثم إنه قدر لهذا الأمر أن يكون حبًا مقدسًا يشاكل زواج المادة بالروح فى خلق العالم. إن رباط الزواج المقدس يوحد الرجل والمرأة حتى يشارك كل منهما الآخر صفاته الجوهرية.

" الخالق الذى ندعوه آتوم – لعجزنا عن تسمية أفضل – عندما خلق الكائن الإلهى الثانى الذى هو الكون كان مبتهجًا.

لقد كان خلقه جميلاً مترعًا بالإحسان فأحبه كابن له.

ولرحمته أراد آتوم أن يكون هناك مخلوق قادر على الإعجاب بجمال خلقه.

فخلق بمشيئته الإنسان كى يقلد حكمته الربانية وحبه الإلهى.

وسأل آتوم كل كائن إلهى فى السماء "ماذا يمكنك أن تقدم للإنسان الذى سوف أخلقه؟"

فقالت الشمس إنها سوف تسطع طوال النهار لتغذى بالضحكة والفرحة عقول الفانين والعالم أجمع ،

ووعد القمر بأن يمنح الإنسان النوم والصمت ويضىء الليل ،

وقدم زحل العدالة والضرورة ،

وأعطى المشترى السلام ،

وتولى المريخ الصراع ،

والزهرة تطوعت بالحب والبهجة ،

أما عطارد والذى يدعى أيضًا هرمس فقال: "سوف أعمل على أن يكون الإنسان ذكيًا، وسوف أنقل له الحكمة ومعرفة الصدق، ولن أتوانى عن نفع الإنسانية" .

وسر آتوم عندما سمع تلك الكلمات وقال كلمته بأن يخرج الإنسان للوجود.

العقل الكلّى الذى هو حياة ونور خلق الإنسانية التى حملت صورته، ووجد مسرة فى خليقته.

لقد ارتبط الانسان بوشائج قربى للكائنات الإلهية نبجلها بالتقى والأفكار القدسية، فى حين نظرت إليه الكائنات الإلهية باهتمام وحب ورحمة.

فى أول الأمر كان الإنسان روحانيًا وخالدًا، ولكن آتوم رأى أن خلقه الجديد لن يرتبط بالأرض ما لم يكن له درع مادى يمنحه جسداً فانيا وروحاً خالدة.

وهكذا خلق آتوم الطبيعة. وبكلمته خلق شكل المرأة، وكانت حلوة حتى إن الكائنات الإلهية صعقت من جمالها.



وجعل آتوم الطبيعة سيدة العالم.

وتوحدت مع ذاتها حتى أنتجت كل البذور التى خلقها آتوم وبذرها بيديه على الأرض التى هى أم لكل المخلوقات الأرضية.

وامتلأت الأرض حبًا للإنسان، وضمته إليها حتى توحدا بالحب.

وامتزج فيه الفانى والخالد، حتى يستطيع الإنسان أن يقوم بواجبه نحو كل من مصادر خلقه.

أولاً: أن يخدم الإله بتقديس وتسبيح ما فى السماء،

وثانيًا: أن يرعى ما على الأرض بزراعة التربة، وملاحة البحار، والبناء على الأرض، وبأن يخدم بعضهم البعض، وهى أقوى الروابط التى تصل الإنسان بالإنسان.

ثم إن آتوم –سيد الخليقة– وهب الإنسان قدسية التناسل المفعمة بالعاطفة والفرح والسرور والشوق وبكل الحب السماوى الذى هو من كيانه.

كان علىَّ أن أوضح طبيعة تلك الرابطة المقدسة التى تربط الرجل والمرأة معًا، ما لم يكن كل منا قادر على ممارستها، واستكشاف أعمق مشاعرها.

فتأمل تلك اللحظة السامية، عندما يتوحد كل جنس مع الآخر:

يمنح أحدهما ويتعلق الآخر بشغف.

وفى لحظة اختلاط الطبيعتين تكتسب الأنثى قوة الذكر، ويسترخى الذكر فى أحضان الأنثى.

وهذا الحدث الحلو المكرّس الذى نحتفى به يتم فى خفاء.

فلو إنه تم علنًا أمام عيون دنسة فقد يسخر الجاهل، وسوف تنسحب القوى الربانية من الجنسين حياءً."

## ١٠ . مولد حضارة الإنسان

**يصف هرمس فى هذا المتن كيف إن الإنسان تحضّر وأنتج الثقافة بإرشاد الملاك أوزير والملاك إيزيس.**

عندما أفاق الإنسان ببطء على ما يحيط به نظر حوله إلى الخلق فى رهبة وعجب، وعندما نظر إلى كمال الكون أراد أن يشارك فى بهجة إبداعه، فأمر الإله الخالق الكائنات الإلهية السماوية أن يشرك كل منهم الإنسان بشيء من قدرته على الخلق.

وتعلمنا متون **هرمس** أن قصة الكون لن تكتمل إلا عندما يلعب الإنسان دوره فيها؛ فالفنون والعلوم التى توصلت إليها الإنسانية هى خطوات لاستكمال خطة الصيرورة العظمى للقدر، فالفن تكملة لما لا تستطيع الطبيعة إنجازه، وكل الذين يتعاونون بمشيئة الخالق يطبقون مهاراتهم ومعرفتهم لإذكاء جمال الكون.

ويعتقد قدماء المصريين أن كل ما تحتاجه الإنسانية من المعارف الضرورية لاستمرار حياتها قد لقنها أوزير وإيزيس إلى أسلافهم، فقد علمتهم إيزيس الزراعة وتربية الحيوان لضمان ألا يجوعوا، وعلمتهم فضائل الأعشاب والأدوية الشافية للجسد، وعلمتهم احترام الموتى وكيف يكفنون أحبائهم بالأربطة المضمخة فى الزيوت والتوابل، وإحياء ذكراهم بقرابين الفاكهة والزهور.

وأوزير سن للناس قوانين العدل. وأرسى شعائر العبادة التى حفظت على التواضع والأمانة، وكرّس الكهنة الأُوَل الذين تدربوا على تغذية روح الإنسان بالحكمة والتعلم.

وكان المصريون القدماء يعتقدون أن أوزير وإيزيس قد ارتقيا بأسلافهما من الوحشية، وقد بقيت إيزيس فى الحياة لرعاية الإنسانية بينما تولى أوزير "سيد الأرواح" رعاية أرواح الموتى، وقد عبدهما المصريون طيلة الآلاف السنين فى معابد انتشرت فى مصر بأكملها حتى العصر الرومانى المتأخر.

" لقد تأملت الإنسانية فى تقوى جمال وديمومة الخلق.

السماء البديعة يغمرها الضياء، وجلال الليل المظلم تضيئه المصابيح الإلهية، وتتبع القوى الكوكبية مساراتها الثابتة فى السماء، تبعث النماء فى الأحياء بأسرارها.

ونظر الإنسان بعجب وتساؤل بعد أن لاحظ تحفة الخالق، وأراد أن يخلق هو أيضا أشياءً فى حد ذاتها.

وسمح الرب أن تشارك ملائكة الكون الإنسان بشىء من قواها.

وحيث إن العالم من صناعة آتوم، فقد تعاون كل من حمل مسئولية فى إظهار جماله مع مشيئة آتوم، بالإسهام بقواهم بالرعاية والعمل اليومى لجعل الأشياء تتخذ مسار نموها الذى أراده لها آتوم.

الصدفة هى الحركة بلا نظام، والمهارة هى قوة خلق النظام.

فيعم النظام الأرض بالمعرفة الإنسانية، وبتطبيق العلوم والفنون، إذ رأى آتوم ألا يكتمل العالم حتى يلعب الإنسان دوره.

لقد بارك آتوم صانع الكون الأرض لفترة حياة والدنا الأعظم أوزير ووالدتنا الملاك الأكبر إيزيس حتى يمنحانا المعونة التى نحتاجها

فأهديا للأرض الدين الربانى وأوقفا المذابح بين الناس، وأقاما شعائر العبادة توافقا مع القوى المقدسة للكون.

أقاما المعابد، وقدّرا قرابين التقرب للكائنات الإلهية التى هى أسلافهم.

ووهبا أعطيات الطعام والمأوى

وعلما الإنسان تحنيط أجداث موتاه الفانين كى لا تبلى.

وبعد أن عرفا قوانين آتوم السرية سنّا القوانين للناس.

وقدما للناس ملاك العهد المسئول كأساس للتعهدات والثقة المتبادلة.

ووضع أصول قبول وتدريب الكهنة المتنبئين، حتى يغذوا بالحكمة أرواح الناس، ويعالجوا أمراض الجسد بفنون الشفاء."



## ١١. الإنسان أعجوبة

**يناقش هرمس فى هذا المتن طبيعة الإنسان وعلاقته الخاصة بالإله.**

الإله والكون والإنسان ثلاثة كائنات عظمى، فالكون صورة من الإله، والإنسان صورة من الكون، وكل يتكون من أجزاء، ولكن كلا منهم هو أكبر من مجرد مجموع تلك الأجزاء، لقد خلق الإله الإنسان ليكون قناة له فى خلق النظام والجمال فى الكون، ولكل الكائنات الحية روح، وهى قوة الحياة فيها، ولكن الإنسان فقط ممتحن بقوة العقل، يتأمل بها الكون، ويصل إلى العرفان بالإله.

والإنسان ميدان للقاء العقل والمادة، فلنا إذن طبيعة مزدوجة، عقل خفى يغلفه جسد مادى، والعقل الإنسانى صورة من عقل الإله، فهو خالد لا يفنى وأبدى وطليق، أما الجسد الإنسانى ففان تحكمه قوانين الصيرورة التى تحكمها الأبراج.

ويجد هرمس الجرأة على وصف هذه الطبيعة المزدوجة بأنها تضع الإنسان فوق الكائنات الإلهية، فكواكب البروج تدور محدودة فى أفلاكها لا تستطيع منها فكاكًا، لكن الإنسان قد يكون على الأرض ولكنه يرتفع إلى الأفلاك بقوة فكره فى ذات الوقت، وقد استطاع إنسان القرن العشرين أن يرتحل حرفيًا بين الكواكب بالتليسكوب، كى يستكشف مركز الكون.

وكون الإنسان روحًا ومادة، جعله وسيطا بين هذين الجوهرين العظيمين، فهو أعظم من الكائنات الفانية فقط، وهو أعلى من الكائنات الخالدة فحسب، ويشارك الإله فى قدرة الخلق، وحتى إنه بعقله يخلق كائنات إلهية على شاكلته الآدمية.

ويستنتج **هرمس أن الإنسان أعجوبة**، ويستحق العجب والإجلال، وهى مشاعر أوقدت المذاهب الإنسانية فى عصر النهضة، وغرض حياة الإنسان هو الارتقاء عن مجرد الطبيعة الإنسانية، ليوقظ طبيعته الإلهية، ولديه القدرة الفريدة على معرفة الإله، ومشيئة الإله العظمى هى أن يحقق الإنسان هذه القدرة.

آتوم هو الأول،

والكون هو الثانى،

والإنسان هو الثالث.

آتوم واحد.

و لكون واحد.

وكذلك الإنسان -مثله مثل الكون- كلٌ واحدٌ من أجزاءٍ مختلفات.

لقد صنع لصانع الإنسان ليشاركه الحكم، وإذا قبل الإنسان هذا العهد بالكامل، صار مصدراً للنظام فى العالم.

قد يعرف الإنسان ذاته فيعرف الكون بالوعى بأنه صورة لآتوم وصورة للكون.

ويختلف عن غيره من المخلوقات الحية الأخرى من حيث إنه يمتلك عقلاً.

وبالعقل يمكن أن يتوحد مع الكون، الذى هو الكائن الإلهى الثانى، وبالفكر يمكن أن يصل إلى معرفة آتوم الإله الواحد.

وجسد الإنسان يحتوى على عقل خالص، كما لو كان حديقة مسورة تحميه وتعزله حتى يمكنه العيش فى سلام.

وللإنسان طبيعة مزدوجة: فهو فانى الجسد خالد الذكاء.

يعلو على السماء، ولكنه ولد عبداً للمصير.

مزدوج الجنس هو مثل أبيه.

ساهر هو مثل أبيه.

ولكنه محكوم برغبات جسدية، تائه فى قبضة النسيان.

الإنسان فقط من بين كل ما له روح له طبيعة ثنائية،

أحدهما يدعى "صورة آتوم" وهو فرد لا ينقسم، وروحانى وخالد، والآخر مصنوع من مواد العناصر.

أحدهما يأتى من العقل الأول، وله قوة الخالق، وقادر على معرفة آتوم، والآخر موضوع فى الإنسان بفعل دورات السماء.



والإنسان هو أكثر الكائنات ربانية، فمن بين جميع المخلوقات لا يخالط الرب سواه، يتحدث إليه فى الأحلام ليلاً ، ويعلمه نبوءة المستقبل فى طيران الطير، وفى شكل أمعاء الحيوان وهمسات السنديان.

وكل المخلوقات الأخرى لا تسكن سوى منطقة واحدة فى الكون، فالسمك فى الماء والحيوان على الأرض، والطير فى الهواء.

لكن الإنسان يخترق كل تلك العناصر، وبثاقب نظره يمكن أن يرى السماوات.

والإنسان يفوق ملائكة السماء فى الكلام بلا خوف، أو على الأقل يكافئها، حيث إن الكائنات الإلهية لن تخرج عن حدودها السماوية لتهبط إلى الأرض، لكن الإنسان قادر على الصعود إلى السماء دون أن يترك مكانه فى الأرض.

قواه تستطيع الإحاطة بشاسع المسافات.

وبمشيئة آتوم صار الإنسان مزيجًا من خلود الربوبية، وفناء المخلوقات.

هو أكبر من أن يكون مجرد إنسان فان، وأعظم من أن يكون مجرد كائن خالد.

الإنسان أعجوبة تستحق التشريف والتبجيل، فله صفات الكائنات الإلهية كما لو كان واحدًا منها وقد عرف الكائنات الإلهية لأنه علم أنه نشأ من نفس الأصل.

ويرفع إلى السماء عيونًا ملأى بالتقوى، ويفلح الأرض تحت أقدامه.

وقد باركه الرب بأن يكون وسطًا . فيحب كل ما هو أدنى منه ، ويحبه كل من هو أعلى.

واثق فى ربوبيته فهو يستطيع أن ينقل الإنسانية

يستطيع أن يتواصل مع الكل، فحدة فكره تنزل به إلى أعماق البحار، ولا تبعد عن حكمته أقطار السماوات.

وذكاؤه يخترق العناصر، فالهواء بضبابه الكثيف لا يعمى رؤى عقله، وحجب الأرض وأعماق المياه لا تغشى ثاقب بصره.

الإنسان كل شيء.

الإنسان فى كل مكان.

يستطيع الإنسان تلقى نور الحياة الربانية، كما يستطيع منح هذا النور.

يستطيع الإنسان أن يرتفع إلى مصاف الكائنات الإلهية، كما يستطيع أن يخلقها بفكره.

وكما قدّر آتوم أن يكون الإنسان مخلوقًا على شاكلته هو، كذلك نخلق نحن على الأرض الكائنات الإلهية على شاكلتنا.

ألا يستحق ذلك العجب؟

هناك إذن ثلاثة: آتوم، والكون، والإنسان.

آتوم يحتوى الكون، والكون يحتوى الإنسان.

الكون ابن آتوم، والإنسان ابن الكون وحفيد آتوم.

آتوم لا يتجاهل الإنسان، بل يعيه تمامًا مثلما يريد أن يعيه الإنسان تمامًا، ولذلك فقط كان هدف حياة الإنسان وخلاصه هو الصعود إلى السماء ومعرفة آتوم. "



## ١٢ . البروج والمصير

**يشرح لنا هرمس فى هذا المتن قوة البروج وكيف تقضى فى قدر الإنسان، وإمكانية التحرر من قيودها المُحدِّدة.**

لقد خلق الإله الإنسان ليتفهم أعجوبة الكون المدهش الذى يعيش فيه، حتى يصبح زينة كونية جميلة، ويشارك الإله قوى الخلق ويساهم فى عمل المخلوقات.

لقد حضت الكائنات الإلهية السماوية الإله على الحذر بعد أن تكفلت برعاية الإنسان، ومنحته بعضًا من قواها، فقد تخوفت من أن يستخدم الإنسان قواه المدمرة مثلما يستخدم قواه المنشئة، فاشتكت من أن قواه عظيمة وغير محدودة حتى إنه قد أصبح خطرًا على ذاته وعلى نظام الكون.

وقد استجاب الإله لمخاوفها فصنع الأفلاك، وهذه الآلية السماوية سوف تحكم قضاء الناس وقدرهم، وسوف يحكمها ملاك المصير الذى سيبذر المصائر، والتى سوف تنمو حسب متطلبات الضرورة، وهى حدود واحتياجات الطبيعة الجسدية، كى تشكل كل حياة إنسانية.

إن قدر المرء أن يحيا الحياة المقضية له في المصير، وقليل من الناس من يستطيع الخلاص من حتمية نفوذ البروج، فحياة الإنسان الأرضى محكومة بقوة القدر، وبالمحددات التى يفرضها جسد الإنسان الفانى، ولكن إذا استنار عقل الإنسان بنور الإله تحرر من نفوذ البروج، فحتى الكائنات الإلهية تعجز أمام نور الإله.

ويرى **هرمس** فى تعاليمه أن واجبنا لا ينحصر فى الاستكانة لمصائرنا، ولكن أيضًا فى إمعان الفكر والتأمل فى الإله، كى نتعالى عن طبيعتنا الفانية، ونوقظ أرواحنا الخالدة.

عندما خلق الخالق هذا الكون البديع المنظم أراد أن ينظم العالم أيضًا، فأرسل الإنسان – المخلوق الفانى الذى أبدع على صورة الكيان الخالد – كى يصبح زينة العالم.

وعمل الإنسان هو إكمال عمل آتوم.

فقد صنع ليرى الكون بخشية وعجب، ويعلم خالقه.

وفى مبدأ الأمر شكت الكائنات الإلهية قائلة:

"لقد تسرعت فى خلق الإنسانية، فهم ينظرون بعيون متسائلة، ويسمعون ما لا يحق لهم سماعه. وتمتد أيديهم بوقاحة. فيحفرون عند جذور النبات، ويتحرون خصائص الصخور، ويشرحون الحيوانات الأدنى، كما يشرحون بعضهم البعض أيضًا، وسوف يبحثون لاكتشاف كيف تأتى لهم أن يعيشوا، وماذا خفى عنهم، وسوف يقطعون غابات مواطنهم ويقلعون فى البحار ليعلموا ما وراءها، وسيحفرون المناجم كى يفتشوا فى أعماق الأرض.

وقد يكون كل ذلك محتملاً، ولكنهم سيأتون بما هو أنكى، فسوف يبحثون فى العالم العلوى بالملاحظة لاكتشاف القوانين التى تحكم حركة السماء".

وأجاب آتوم:

"سوف أبنى الأفلاك بآلية سرية فى النجوم كى تتصل بالمصائر التى لا تفتر، وسوف تخضع حياة الإنسان من مولده حتى مماته لأعمال هذه الآلية الخفية".

وعندما بدأت الآلية فى العمل، أشرف ملاك المصير ثاقب البصر على حركتها وضبطها

ومن هذه الآلية التحم المصير بالضرورة، يبذر المصير البذور، وتدفع الضرورة بالنتائج.

وقد بدأ النظام مع بداية المصير والضرورة، النظام الذى هو نسيج الأحداث المتداخل فى الزمن.

إن آتوم يكسو كل روح إنسانية باللحم بواسطة الكواكب الدوارة فى السماء.

إن قدر الإنسان أن يعيش حياته حسب المصير المكرّس من أجله على يد القوى السماوية، ثم يفنى ويذوب فى العناصر.



وهناك من سيبقى اسمهم على الصروح الجبارة التى بنوها، ولكن أسماء كثيرة ستخبو فى الظلام.

قليل من سيستطيع الهرب من مصيره، أو التحسب من النفوذ الرهيب للأبراج، والتى هى أدوات المصير، تدفع بالحدثان فى عالم الإنسان.

ولكن إذا استضاء الجانب العقلانى فى روح الإنسان بشعاع واحد من نور آتوم، فستحبط أعمال ملائكة القضاء والقدر إذ لا حول لها أمام النور الأسمى.

إلا أن هؤلاء الناس قلائل، والغالبية تسوقها الكائنات الإلهية التى تحكم العالم الأرضىّ مستخدمين أجسادنا كأدوات للمصير.

ولكننى أعتقد أن واجبنا هو أن نرضى بأحوالنا الإنسانية، وألا نكف عن التأمل العميق لأمور السماء، وأن نرتفع بنواتنا، عن مجرد طبيعتنا الفانية."

## ١٣ . العام والخاص

**يبين هرمس فى هذا المتن كيف تعمل البروج على جعل كل إنسان متفرداً بصفاته.**

لكل شيء "شكل"، فالمائدة على سبيل المثال هى سطح أفقى تحمله قوائم ، وهذا هو "الشكل العام للمائدة. وكل مائدة معينة تشترك فى تلك الخواص، ولكن لها خواصها المميزة، والتى نعلم منها أنها هى هذه المائدة وليست تلك ؛ فإحداها كبيرة مصنوعة من البلوط، وأخرى صغيرة مصنوعة من البلاستيك، وكل منهما متفرد بخصائصه ولكنها مازالت مائدة، وإذا انحرف شيء عن ذلك الشكل **العام** بشوط واسع فلا ندعوها مائدة، فإذا هى تحطمت إلى شظايا مثلاً دعوناها حطباً.

وكل شيء نسخة خاصة من شكل عام ، وكل حيوان هو متفرد بذاته وعضو فى جماعته فى ذات الوقت. وكل أفراد الجنس البشرى يشتركون فى كونهم بشراً، ولكن كل فرد له سماته الخاصة التى تميزه بها عن غيره من جنسنا.

وهذه الصفة الآدمية ثابتة لا تتغير، فنحن مختلفون عن أسلافنا، ولكننا لسنا أكثر آدمية منهم ، وتتغير الصفات الخاصة باطراد، ففى حياة بشرية واحدة نتغير من رضيع إلى شخص ناضج، فكهل، ولا نبقى كما نحن أبدا، لكن **الطفولة** والنضج والكهولة صفات عامة للحياة البشرية

ويقارن **هرمس** الأشكال العامة للحياة بمدارات البروج الثابتة. ويقارن الأشكال الخاصة المتغيرة بتغير العلاقات بين البروج وهى تدور فى مداراتها فى السماء.

تبقى طبائعنا البشرية كما هى طوال حياتنا، ولكن مصائرنا الفردية تختلف باتساق مع الاختلافات فى مواقع البروج .

وكما يرى المنجمون، يقول هرمس بإن مصائرنا تتحدد بأوضاع الكواكب ساعة الميلاد، وهى الكائنات الإلهية التى تتولانا وتحكم أجسادنا وتشكل أرواحنا.

" لقد رتب آتوم أفلاك الكون على اتساق مع حركة الطبيعة، وأسند إليهم إنتاج كافة أشكال الأحياء.

وعندما استخدمت هذه الكائنات الإلهية قواها المختلفة، أنتجت ذوات الأربع، والزواحف، والأسماك، والطيور، والحشائش، والنباتات المزهرة، كل حسب طبيعته المختلفة، وكل يحتوى على بذرة بقاء نوعه.

وكل كائن حى له شكله الخاص الذى منحته إياه قوى الأفلاك.

وذلك الشكل متوافق مع نوعه، إلا أنه فردانى.

فجنس الإنسان على سبيل المثال، يشترك فى صفات شكلية عامة، نعلم منها أن إنساناً هو إنسان، إلا أن لكل فرد من بنى الإنسان شكلا خاصًا به بحيث لا يتشابه اثنان منهما تمام الشبه.

فكل شكل فريد فى ذاته، حيث إنه خُلق فى مكان وزمان معينين.

تختلف الأشكال الخاصة فى كل لحظة من كل ساعة، مثلما تدور ملائكة الأفلاك فى مداراتها السماوية.

ولا تختلف بذلك الأشكال العامة، مثلما تبقى الأفلاك على حالها.

ولكن تختلف الأشكال الخاصة لحظة بلحظة، كلما تغيرت أوضاع الأفلاك فى دورانها فى السماء.

تمطر السماء ثم تقلع، ويأتى الحر ويليه القرّ، وتتبع الظلمة الضياء، لكن تلك التحولات جميعًا تقع فى حدود شكل السماء العام.

والأرض دائمة التغير، تلد وتنتج محاصيل مختلفة، لكنها الأرض باقية أبداً.

والمياه قد تركد، وقد تفيض، ولكنها المياه أبداً.

والجسد الإنسانى معبد أرضى، أنشأته حركة الأفلاك التى تنتج أشكالاً لا نهائية من نماذج بسيطة.



هناك اثنا عشر فلكا تنتج أشكالاً تقع فى اثنى عشر نوعًا، إلا أنها لا تنفصل عن بعضها البعض فى حركتها.

والطبيعة تصنع الجسد الإنسانى بحيث يردد تكوينه نماذج النجوم، وبحيث يؤثر كل منهما فى الآخر بالتبادل.

وحينما نولد ترعانا ملائكة الأفلاك التى تسيطر على وقت الميلاد.

وهذه القوى الخاصة التى تتغير مع دوران الأفلاك، تتخلل الجسد، وتصوغ شكل الروح.

وتتخلل أعصابنا، ونخاعنا، وشراييننا، وأوردتنا، وأعمق أعضاء جسدنا. "

## ١٤ . تجسد الأرواح

**يبين هرمس في هذا المتن كيف تتناسخ الأرواح في الأجساد.**

تشترك كل الأرواح في طبيعة جوهرية واحدة، وليست ذكرا أو أنثى، حيث لا تظهر تلك الفوارق سوى في الجسد، وكل الأرواح أجزاء من روح الكون.

وقد كلف الإله خادمين للأرواح، حافظ الأرواح الذي يحفظ الأرواح غير المتجسدة، ومرشد الأرواح الذي يبعث بها في التناسخات المادية، وتخلق الطبيعة جسدا لكل روح.

وتعمل القوة التي يدعوها **هرمس** "الذاكرة" على أن يتسق ذلك الجسد مع الشكل العام لجنس الإنسان، أما القوة التي يدعوها "المهارة" فإنها تعمل على أن يناسب كل جسد الروح التي تسكنه.

إن صفاتنا الشخصية تتحدد بنوعية الكائنات الإلهية التي تشرف على ساعة الميلاد، فإذا كانت مسالمة فسوف تكون طبيعتنا السلام، وإذا كانت محاربة فسوف نكون عدوانيين: ولذلك يقول المنجمون إن مواليد برج الميزان مثلا يختلفون في طبائعهم عن مواليد برج العقرب، فالكائنات الإلهية التي تصاحب الروح ساعة الميلاد تؤثر على الطبائع الغريزية في أرواحهم، أما الذين يؤثرون في فترة المراهقة فإنهم يشكلون الجانب العقلي من الروح.

وتلتف الروح بجسد روحاني قبل أن تنسخ في جسد جديد، وحين يكون ذلك الغلاف رقيقًا شفافًا تكون الروح ذكية، وإن كان كثيفًا غائمًا تكون الروح بلا بصيرة ولا تدرك غير مواقع أقدامها. وعندما تحتبس الروح في جسد تنسى طبيعتها الأصلية، وتتخذ صفات الكائنات الإلهية التي أودعتها في جسد الإنسان، ويصف **هرمس** رؤيته للأرواح غير المتجسدة التي على وشك الارتحال إلى أشكالها المادية وهي تمتلئ خوفًا ورعبًا من المصير الذي ينتظرها، ولا تحتمل فكرة ذلك السجن.

" كل الأرواح من روح واحدة هي روح الكون.

وكل الأرواح ذات طبيعة واحدة ، فليست ذكوراً وإناثاً ، فتلك الفوارق لا تظهر إلا فى البدن.

وفى العالم العلوى هناك نوعان من الكائنات الإلهية فى خدمة إحسان آتوم: "حراس الأرواح" و "مرشدو الأرواح".

وحارس الأرواح مهمته العناية بالأرواح التى غادرت أجسادها، ومرشد الأرواح يرسل الروح من آن لآخر كى تتجسد فى بدن جديد.

والطبيعة تعمل إلى جانب مرشدى الأرواح حيث تصنع وعاءً فانيًا تصب فيه الروح العائدة.

والطبيعة أيضًا لها مساعدان يطلق عليهما الذاكرة والمهارة.

فالذاكرة تعمل على أن تنتج الطبيعة أشكالا فردية هى نسخ من الأشكال الكونية المثالية.

والمهارة تعمل على أن يناسب كل شكل فردانى الروح التى سوف تحل به، وبحيث يكون للروح النشطة جسد نشيط، وللروح المترهلة جسد مترهل، وللروح القوية جسد قوى.

**والروح المتعالية لها أرديتها الجسدية الخاصة والتى هى أيضا روحانية**

وهى أردية من الأثير، حينما تكون رقيقة شفافة تكون الروح ذكية.

وحينما تكون كثيفة غائمة كالهواء العاصف لا تستطيع الروح أن ترى سوى محنتها القريبة.

**والاختلاف فى شخصيات الفراعنة لا تتحدد بطبيعة أرواحهم، فكل الأرواح** الملكية شبيهة بالكائنات الإلهية ، ولكن تحددها طبيعة الكائنات الإلهية التى أرشدتها كى تتجسد.

والأرواح من هذا النوع تتجسد لأداء مهام متعالية، ولا تتنزل إلى الأرض دون صحبة ملائكية.

فالعدالة الربانية تعلم كيف تسند إلى كلٍ تكليفه، حتى عند نفيه من عالم السعادة.

فحينما تصطحب الروح كائنات إلهية محاربة فسوف يشن ذلك الفرعون حروباً.

**وحينما تصحبها** كائنات إلهية مسالمة فسوف يشيع الفرعون السلام.



وحين تكون الكائنات الإلهية طروبة فسوف يؤلف الفرعون الألحان.

وحينما تكون عادلة فسوف يحكم الفرعون بحكمة.

فالأرواح تتعلق - بالضرورة - بطبيعة الكائنات الإلهية المرافقة لها فى رحلة التجسد على الأرض، إذ ينسون طبيعتهم الأصلية عندما يهبطون إلى الحالة الإنسانية، ولا يتذكرون سوى طبائع الكائنات الإلهية التى حبستهم فى ذلك القبر الفانى.

والقوى التى رافقت الروح لا تصل معاً، فبعضها يدخل إلى الروح لحظة الميلاد، ويعمل على الجوانب غير العقلانية فى الروح.

والقوى الأنقى تدخل فى فترة الصبا وتتعاون مع الجوانب غير العقلانية للروح.

لقد رأيت رؤيا لبعض الأرواح التى على وشك الاحتباس فى أجساد.

بعضها يصرخ ويتأوه، وبعضها يصارع مصيره، مثل الحيوانات النبيلة التى صادها صياد ماهر، ليبعدها عن موطنها فى البرية.

وقد صرخ أحدها وهو ينقل البصر بين الأعلى والأسفل:

"يا للسماء، يا مصدر الوجود، أيتها الأنجم المنيرة، أيتها الشمس وأيها القمر اللذان لا يفترقان، يا نور ويا نسمة الحياة من الواحد، يا كل من يشاركنا فى وطننا الأصلى، كم هو قاس أن ننتزع من ذلك البهاء السماوى!

إننا نطرد من ذلك العالم المقدس، ومن الحياة المباركة التى نعيشها هنا، كى نحتبس فى مكان ذليل أسيف.

أى احتياج شديد سنواجه؟

وأية فعال كريهة علينا أن نقترف لتلبية رغبات جسد فان محكوم عليه بالموت؟

سترى أعيننا القليل المحدود بطبيعة تلك الأجسام.

وعندما نرى أن عالمنا السماوى الواسع قد ضاق حتى أصبح كحدقة عين فلن تنتهى أحزاننا.

ولن نستطيع أن نرى بوضوح بعد أن حكم علينا بالظلام.

وعندما نرى إخواننا وأخواتنا فى مهب الرياح سيتملكنا الحزن،

حيث إننا لن نستطيع أن نتنفس معهم فى إيقاع واحد."

## ١٥ . الموت والخلود

**يستكشف هرمس فى هذا المتن طبيعة الموت ومصير الروح التى تنجو منه.**

الزمن مدمر من وجهة نظر الإنسان، فالزمن يؤدى بنا إلى الشيخوخة والموت، أما بالنسبة للكون فالزمن دورة لا تتوقف إلى الأبد، تقيسه دورات الأفلاك. وفى حين تتغير الحياة على الأرض دومًا تبقى الأفلاك على حالها إلى الأبد. ويتساءل هرمس: "فكيف يتأتى لشيء أن يكون حقيقيًا وهو لا يكفّ عن التغير المستمر؟" إلا أن هذا التغير صادر من حقيقة ثابتة لا تتغير، واكتشاف الفارق بين الزائل والخالد هو جائزة البحث الروحى.

يعلمنا **هرمس** أننا يجب أن نقبل الطبيعة الزائلة المحتومة لكل ما هو مادى ، فكل ما يولد يموت ، ولابد أن ينتهى القديم ليخلق الجديد، فالبراعم الجديدة تنمو من مخلفات المحصول القديم، وبذورها سوف تنمو وتشيخ وتموت. ويعلمنا أن ميلاد الإنسان ليس بداية الروح، ولكنه عود للحياة فى صورة ذلك الشخص المعين ، وليس الموت سوى نهاية ذلك الشخص بعينه، وتحول الروح إلى حالة أخرى ، وأن الموت هو الخلاص من الجسد الفانى، ومعظم الناس يجهلون هذه الحقيقة ولذا يخافون الموت.

وتحاكم الروح بعد تركها الجسد أمام رئيس الكائنات الإلهية ليكشف عن طهارتها وشرفها ، فالأرواح الطاهرة تقاد إلى مكانها فى السماء، والأرواح الجاهلة تسقط مرة أخرى إلى عالم المادة حيث يعاد تجسيدها. فالروح التى عرفت الإله فى حياتها تصبح عقلا خالصًا ، وعندما تهجر الجسد تتجسد فى طيف من نور وتتحرر من قبر الجسد. وهذه الروح المستنيرة قد عرفت أن طبيعتها الأصلية إلهية، وعند موت جسدها تتحد بالإله، فقد سبقت فى مضمار الطهارة ، وهى الآن روح خالصة سماوية، وقد أصبحت كائنًا إلهيًا .

نهاية الكينونة بداية الفناء، ونهاية الفناء بداية الكينونة.

كل ماعلى الأرض يفنى، فبدون الفناء لا خلق جديد.

يأتى الجديد من القديم، فكل مولد لجسد حىّ مثل نمو النبات من الحبة يتبعه فناء.

من التحلل يأتى البعث، حسب دورات ملائكة السماء، وقوة الطبيعة، والتى تأتى كينونتها من كينونة أتوم.

الزمن مدمر للإنسان، أما للكون فهو عجلة دوارة إلى الأبد.

تلك الأشكال الأرضية التى تروح وتأتى هى خيالات.

فكيف يتأتى لشىء أن يكون حقيقياً وهو لا يكفّ عن التغير المستمر؟

لكن تلك الأشياء العابرة الوهمية تنبع من حقيقة ثابتة دائمة.

الميلاد ليس بداية الحياة، فهو لا يعدو أن يكون مولد وعى شخصى.

والموت تغير إلى حالة أخرى، فهو لا يعدو أن يكون نهاية لذلك الوعى.

ومعظم الناس جاهلون بالحقيقة ويخافون الموت، ويعتقدون أنه أسوأ الشرور.

لكن الموت لا يعدو أن يكون هو تحلل الجسد الفانى.

وينتهى دورنا كحراس للعالم عندما نتحرر من روابط الجسد، فنعود مطهرين إلى الحالة الأولى من طبيعتنا العلوية.

وبعد أن نهجر الجسد، يتحرر العقل الذى هو ربانى بطبيعته من كل متعلقاته.

ويتخذ سمتاً من ضياء يتردد فى كل الأكوان، تاركاً الروح لتحاكم وتعاقب حسب أعمالها.

ولا تذهب كل الأرواح إلى مكان واحد، ولا إلى أماكن عشوائية، لكن كل روح تؤتمن إلى المكان الذى يناسب طبيعتها.

وعندما تترك الروح الجسد تتعرض لمحاكمة واستجواب رئيس الكائنات الإلهية.

وعندما يجد أن الروح شريفة طاهرة يسمح لها بالحياة فى مكان يناسب طبيعتها.

أما إذا وجد أنها ملوثة بجهل عضال فإنه يقذف بها إلى الأنواء والأعاصير، تصطخب حولها إلى الأبد فى الرياح العاصفة مابين السماء والأرض.



ولن يعرف أتوم سوى الروح الربانية التى لم ترتكب خطأً فى حق أحد.

تلك الروح قد فازت فى السبق إلى الطهارة وأصبحت عقلاً كلياً.

وبعد أن تهجر كينونتها المادية تصبح روحاً فى جسد من ضياء حتى تعمل فى خدمة أتوم.

وعندما يتحلل الجسد يتحلل الشكل المادى أولاً ثم لا يرى بعد ذلك.

وتعود الروح الحية إلى الفضاء، وتعود الحواس الجسدية إلى الطبيعة حيث تتآلف بطرائق جديدة، وتعمل أعمالاً أخرى.

وتصعد الروح إلى أعلى فى طبقات السماء،

ففى الطبقة الأولى تتحرر من النمو والضمور،

وفى الثانية تتحرر من الشرور والمكر،

وفى الثالثة تتحرر من الشهوة والخداع،

وفى الرابعة تتحلل من الغرور والسيطرة،

وفى الخامسة تتحرر من الصفاقة والتهور،

وفى السادسة تتحرر من الطمع والثروة،

وفى السابعة تتحرر من الخديعة والزيف.

وبعد أن تتطهر بطبقات السماء من كل ما حاق بها، تمتلك الروح قواها الحقة، وقد تتعالى إلى الطبقة الثامنة لتبتهج مع كل الذين يرحبون بها وهم يسبحون للأب.

وتسبح الكائنات الإلهية التى تسكن فوق الطبقة الثامنة بأصوات تميزهم وحدهم، ينادون الأرواح كى تسلّم للإله، وتصير من كائناته بالتوحد مع أتوم.

هذا هو الخير والإحسان القديم،

وهذا هو اكتمال المعرفة الحقة.

وبعد أن يتم قبولها فى الخلود، تتحول الروح الإنسانية إلى كائن ينضم إلى الكائنات الإلهية التى تهلل وتسبح احتفالاً بانتصار الروح.

## ١٦ . جهل الروح

**يشرح لنا هرمس فى هذا المتن كيف أن الحياة هى الفرصة التى نستطيع فيها أن نعرف الإله، ولكن تحقيق هذا الغرض الإلهى رهن بالتحرر من عبودية الجسد.**

إن قيود الجسد المفروضة على الروح تعنى أن حياة الإنسان صعبة بالضرورة. ولكن أملنا فى حياة أبدية رهن بكيفية حياتنا الحاضرة، والوجود الأرضى فرصة لتدريب الروح حتى تتخذ سمتها إلى السماء مباشرة عند الموت ولا تفتقد الطريق.

وكل ماهو مادى - بما فيه أجسادنا - غريب عن طبيعتنا الروحية، ولسوء الحظ تتملكنا المسرات الحسية العابرة فى الحياة حتى إننا لا ننتبه إلى الروح الخالدة، لكن الجسد يجب أن يكون عبداً للروح لا سيداً لها.

ويؤكد لنا **هرمس** أن هناك طريقًا لتحرير أنفسنا من عذابات الحياة، والتى يسببها جهلنا، ويحضنا على تحرير أنفسنا من عبوديتنا، فننمى بصائرنا، ونستخدم قوة عقولنا فى ممارسة العقل المحض، ويسألنا: "فلماذا تسلم نفسك إلى الموت فى حين تستطيع الخلود؟" .

ويؤكد لنا **هرمس** أن مرفأ السلام ينتظر أولئك الذين نهضوا لتحدى الجسد.

لقد فطر الإنسان على صورة الإله، ويستطيع أن يتوحد معه ، فالشبيه فقط يعرف شبيهه بالحق، إن خوفنا فقط هو الذى يبعدنا عن الحق، وقلة إيماننا بأنفسنا تربطنا إلى الأرض. إن فى الإنسان قوة يرتفع بها إلى السماء ولكنه يزحف على الأرض. ويرى هرمس أن أكبر خطأ للإنسان هو أن يملك القوة لمعرفة الإله ولا يحققها.

ومجرد الرغبة فى معرفة الإله تضعنا على طريق الاستنارة، فالطريق الروحى ليس صعبًا، فبمجرد اليقظة من الجهل يأتى الإله إلينا بالمدد، ونعى فجأة أن الإله معنا فى أزمنة وأماكن لا نتوقعها، ونهاية رحلة الروح هى الإدراك بأن الإله فى كل مكان وفى كل شىء.

" من المستحيل دوام السعادة طالما التصقت الروح بالجسد.

وعلى الإنسان تدريب روحه فى هذه الحياة الدنيا حتى لا يضل طريقه إذا دخل الحياة الأخرى التى يستطيع فيها اجتلاء آتوم.

فهنا على الأرض يكمن أمل الروح فى حياة الخلود.

وكثير من الناس لا يصدقون، ويعتقدون أنها حكاية فارغة تستحق السخرية، إذ أن ممتلكات الحياة الدنيا تبعث على السرور.

ومثل تلك المسرات تخنق الروح، وتربطها إلى الحياة.

تمتلكنا أملاكنا.

لم نولد مالكين ولكننا احتزنا أملاكًا.

وكل ما يستخدمه المرء لإرضاء جسده غريب عن طبيعته الأولى التى هى أشبه بطبيعة الكائنات الإلهية.

وليست الأملاك فقط بغريبة، ولكن الجسد ذاته غريب عن النفس الحقّة.

إن عقل الكون لا يُبلغ إلا بالفكر وحده.

والروح التى لا ترى عمياء عن خير وإحسان آتوم، تتخبطها الأهواء التى تعترى الجسد.

فأى نار تحرق مثل الدنس؟

وأى وحش جائع لديه القوة على تمزيق الجسد مثلما يفعل الدنس بالروح؟

ألا ترى العذاب الذى تحترق فيه الروح الدنسة؟

إنها تصرخ:

"إننى أحترق وأتعذب فى النار،

لا أدرى ماذا أفعل أو ماذا أقول،

يلتهمنى البؤس الذى يتملكنى" .

أليست هذه الصرخات توسلات روح تتعذب؟

روح تحمل الجسد كسيد لها وليس خادمًا.



مزق ذلك الرداء الظلامى، ذلك النسيج الجاهلى، تلك القيود الماحقة، حياة الموت والعدم، القبر الذى تحمل، اللص الذى يسكن المنزل، العدو الذى يكره كل ما تحب، اللباس الذى يطحنك ويشدك إلى الأرض.

والجهل الذى يفيض على الأرض تجتاحك أنواؤه، فلا تجعه يحملك فى تياره.

اسبح عكس التيار.

وابحث عن مرفأ التحرر الآمن.

ارس عليه، وستجد مرشداً يقودك إلى بيت المعرفة.

وهناك سترى بقلبك النور الساطع.

أما إذا أغلقت على روحك فى جسدك وقلت من شأنك قائلاً:

"لا أستطيع أن أعرف، إنى خائف لا أستطيع الصعود إلى السماء" ،

فأى شأن لك بآتوم؟ .

أيقظ روحك النائمة.

فلمَ تسلم نفسك إلى الموت بينما تستطيع الخلود؟

لقد سكرت بالجهل عن آتوم، وقد أعياك جهلك، وأنت الآن تتقيؤه.

أفرغ نفسك من الظلام وسوف تمتلئ بالنور.

ليس هنالك خطأ أعظم من أن تحوز القدرة على إدراك آتوم ثم لا تفعل.

فمجرد الرغبة والأمل فى معرفته طريق إلى الخير ،

وهو طريق سهل.

سوف يلاقيك آتوم فى أى مكان، فانظر باحثًا عنه، فى أزمنة وأماكن لا تتوقع أن تجده فيها.

سواء أكنت يقظا أو نائمًا، مسافرًا على البر أو فى البحر، ليلا أو نهارًا، صامتًا كنت أو متحدثًا،

ذلك أن آتوم هو الكل. "

## ١٧ . معرفة آتوم

**يعلمنا هرمس فى هذا المتن كيف نصل إلى معرفة الإله، فهذا هو الهدف من حياة الإنسان.**

لايعرف الشبيه حقًا سوى شبيهه، فلكى نعرف الإله لا بد أن نتشبه به، وينصحنا **هرمس** كى نفعل ذلك علينا أن نتخيل أنفسنا فى كل مكان فى نفس الوقت، وأن نحتضن كل المتناقضات، ونعلم أننا خالدون، ونتصور أنفسنا فى الرحم والقبر معًا، ونستطيع بهذا أن ننصهر فى الروح العلية.

والعقل هو الجزء الخالد من الإنسان، وهو النور السماوى الذى يشع من الإله، وليس لمخلوق سوى الإنسان وحده هذه الهبة السماوية، والتى تمنحه القدرة على معرفة الإله.

ومعرفة كهذه ليست رأيًا، فالرأى لا يتجاوز أن يكون انعكاسًا كابيًا للمعرفة، والمعرفة هى الوعى المباشر بالحقيقة ، والإنسان المستنير ليس لديه آراء عن الرب فهو متوحد معه.

والعقل مثل الجائزة التى يمكن للروح أن تحوزها، والإله يريد لنا أن نتعمَّد بالعقل ونصبح ربانيين، إلا أن جماهير الجهلاء يعتبرون أولئك الذين ينجحون مجانين، ويضحكون عليهم ويحتقرونهم، وحتى إنهم يقتلونهم، ويثبت التاريخ أن ذلك كان مصير الأنبياء والقديسين والحكماء أمثال عيسى عليه السلام وسقراط (والحلاج وجيوردانو برونو).

كى تعرف آتوم عليك أن تتشبه به، فالشبيه فقط يعرف شبيهه بالحق.

اهجر عالم المادة، وتخيل نفسك متسعًا بلا نهاية.

ارتفع عن الزمن إلى الأبدية.

واعتقد أنه لا شيء يستحيل عليك،

تخيل أنك خالد وعالم بكل العلوم،

واسكن خطرات كل كائن حيّ،

ضع نفسك فوق كل ما يعلو، وتحت كل الأعماق،

وتبنَّ فى ذاتك كل المتناقضات من حرّ وقرّ، ومن صلابة وسيولة.

واعتقد أنك فى كل مكان فى نفس الوقت، على الأرض، وفى البحر، وفى السماء.

تخيل نفسك جنيناً فى الرحم، ولكنك أيضا شاب وشيخ وجدث ميت، وفى عالم ما وراء القبر.

وتأكد أن كل شيء يتعايش مع كل شيء فى العقل.

كل الأزمنة والأماكن، كل الأشياء بكل الأشكال وبكل الأحجام،

عندئذ ستعرف آتوم.

وإذا أمكن التحدث عن كنه آتوم فمادته الإلهية هى العقل، ولا يعرف كنهه سواه.

العقل لا ينفصل عن آتوم ولكنه يشع عنه كما الضوء عن الشمس.

والعقل يلد الربوبية فى بنى البشر.

فبالعقل يرتفع بعض بنى الإنسان إلى أشباه للآلهة كما جاء فى تعاليم أوزير:

"الآلهة أناس خالدون، والناس آلهة فانون".

العقل هو القسم الإلهى فى الكائن الإنسانى بقدرته على التعالى إلى السماء.

والقسم المادى الذى يتكون من النار، والماء، والتراب، والهواء، هو الجزء الفانى المرتبط بالأرض، حتى لا يهجر العقل الجسد الذى ائتُمن عليه.

تتغذى الروح بالنار والهواء، ويتغذى الجسد بالماء والطين.

والعقل هو الجوهر الخامس الذى يأتى من النور، ولم يُمنح سوى للإنسان.



ومن بين جميع الكائنات الحية، لم يوهب الروح إلا الإنسان، الذى ترفعه هبة العقل إلى معرفة آتوم.

وهذه المعرفة ليست رأياً هو نسخة باهتة من المعرفة، وصدى لصوتها، كضوء القمر الكابى مقارناً بوهج الشمس.

العقل والكلام عطايا عظيمة منحها آتوم للإنسان وحده.

وإذا استُخدمتا بحكمة يمكن أن تجعلا الإنسان مثل الكائنات الإلهية الخالدة، غير أنه متجسد فى جسد من الطبيعة.

وعندما يترك الجسد وراءه، فسوف يكون العقل والكلام مرشديه يقودانه إلى صحبة الإلهيين والأرواح، التى اتخذت مكانا علياً.

للكائنات الأخرى أصوات ولكنها ليست كلاماً.

فكل كائن حى له صوته المميز، لكن الناس جميعا يشتركون فى الكلام.

فالناس جميعاً واحد بالخلق، واللغات جميعاً واحدة بالمعانى.

تترجم الكلمات من لسان إلى لسان، وتظل المعانى واحدة، سواء كانت مصرية أو فارسية أو يونانية.

ذلك أن المعانى صورة العقل، والعقل صورة آتوم.

بمشيئة آتوم، العقل مثل جائزة يمكن للروح أن تفوز بها.

لقد ملأ آتوم وعاءً ضخماً بالعقل وأرسله إلى الأرض، ونودى عليه:

"أنصت يا قلب الإنسان!

عمّد نفسك بالعقل

وتعرّف على علّة خلقك

وارتق إلى من أرسل إليك هذا الوعاء".

أولئك الذين عمّدوا أنفسهم بالعقل وجدوا المعرفة الحقة، وصاروا كاملين.

إلا أنهم لم يحسُنوا فى أعين الآخرين، فقد اعتبروهم مجانين يبعثون على الضحك، وكان نصيبهم الكراهية والازدراء، وقد يحكم عليهم بالموت.

## ١٨ . الميلاد من جديد

**يبين لنا هرمس فى هذا المتن أسرار الميلاد الروحى من جديد، والذى نستيقظ بعده على أرواحنا الخالدة.**

إن عمل القدر محتوم على الإنسان فى دوران الأفلاك، يتعرض فيه الإنسان لآلام الولادة والموت، ومشكلة الإنسان تكمن فى اعتقاده الجاهل أنه مجرد جسد، ينمو ويعانى ثم حتمًا يموت، ويقوده إحساسه بظلم هذا المصير إلى إيذاء نفسه وغيره، إما جشعًا لمزيد من الحياة، أو رعبًا من اقتراب الموت ، وتلك الجرائم تعمل على تقييد الروح إلى الجسد بشكل أوثق. وتطهير المرء لذاته من الجهل إذن، هو أولى درجات الميلاد من جديد، الميلاد فى المعرفة بأننا خالدون.

ولابد لنا من ميلاد الروح من جديد للهرب من عنائنا الكامن فى مصيرنا الإنسانى، والطريق الروحى هو ذاته الذى اتبعه أسلافنا، وهو طريق صعب طالما كبلتنا قيود الجسد، فلا بد من النضال كى نسود نفوسنا . والفهم الصحيح يطهرنا من كل أدران الرذائل التى تعذبنا، ويوقظ روحنا الخالدة.

والذى يولد على هذا النحو يتوحد بالإله، ولكن ذلك لا يحدث إلا بأن نكف عن الحديث عنه، بحيث يحدث بشكل طبيعى فى صمت وسكون وتأمل عميق . فالشخص المستنير لا يعد يصدق بأنه جسد، فالجسد ينتمى إلى الطبيعة وليس إليه، ومصيره ليس أمرًا مهمًا، إنه يتوحد مع كل شىء، ويرى الإحسان فى كل شىء، ويغتسل بالنور الإلهى، فقد صار عقلا محضًا .

والميلاد من جديد ليس نظرية يمكن أن نتعلمها. فهو حدث طبيعى يحدث عندما يشاء الإله، وكل ما علينا هو أن نستعد لتلك الاستنارة، ونضبط نزواتنا، ونرضى بما قسم لنا. فكل شىء حسن فى نظر الإنسان الرائى حتى لو رآه الناس شرًا، وعرفانه بالإله يمنحه القدرة على رؤية الإحسان الإلهى فى كل شىء، حتى لو أساء الناس إليه. وهؤلاء الذين ولدوا بالروح من جديد يعيشون فى مملكة الإله.

لن يصل أحدٌ إلى الخلاص ما لم يولد من جديد.

فطِّهر ذاتك من أدران المادة إن أردت أن تولد من جديد.

إن أولها الجهل،

وثانيها الحزن،

وثالثها عدم ضبط النفس،

ورابعها الشهوة،

وخامسها الظلم،

وسادسها الطمع،

وسابعها الخديعة،

وثامنها الحسد،

وتاسعها الخيانة،

وعاشرها الغضب،

والحادى عشر هو التهور،

والثانى عشر هو الحقد.

وينضوى تحت تلكم جميعها كثير غيرها، تجبر الإنسان الحبيس فى سجن الجسد على معاناة العذاب الذى تولده.

ولكنها تنزاح كلها برحمة آتوم ليحل الفهم،

هذه طبيعة الميلاد من جديد، وهو الطريق الوحيد إلى الحقيقة، وهو الطريق الذى اتبعه أسلافنا للوصول إلى الخير والإحسان.

هو طريق إلهى مقدس على الرغم من صعوبة سفر الروح فى الجسد.

وأولى خطوات الروح هى الحرب مع شهوات الجسد ،

وهو صراع بين الوحدة والتعدد،

فأحدهما يهدف إلى التوحد بينما يهرع الآخر إلى الانقسام.

فمن يولد من جديد يتوحد مع الأب الواحد الذى هو النور والحياة.



ولن ترى الرؤيا العليّة سوى بالامتناع عن الكلام عنها، فالعرفان سكون الحواس.

والذى يعرف جمال الخير والإحسان الأول لن يعلم سواه، فلن يسمع شيئًا، ولن يحرك جسده، وسينسى حواسه الجسدية، بينما يغتسل عقله فى جمال الإحسان الذى سوف يجتذب روحه عن الجسد، ليوحده مع الكائن الخالد أبدًا.

الإنسان لن يستطيع أن يصير كائنًا إلهيًا طالما كان يعتقد أنه جسد فحسب.

ولا بد له أن يتحول بجمال الإحسان الخالد حتى يصبح إلهيًا.

الحكمة رحم الميلاد من جديد ،

والحمل هو الصمت ،

والبذرة هى الإحسان ،

والذين ولدوا من جديد لم يعودوا كما كانوا من قبل، فقد أصبحوا إلهيين، أبناء آتوم الإله الواحد.

فهم يتسعون لكل شىء، وهم فى كل شىء.

وليسوا من المادة فى شىء فهم عقل محض.

والميلاد من جديد ليس نظرية يمكن أن تحاول دراستها.

ولكن بمشيئة آتوم سوف تعرف ،

فالمرء لا يأمل فى معرفة آتوم إلا بضبط شهواته، وترك الأقدار لتصنع ما تشاء بجسده الطبنى الذى ينتمى إلى الطبيعة وليس إليه.

وليس له أن يحسّن حياته بالسحر، أو يعارض قدره بالقوة، بل عليه أن يترك الضرورة لتتبع سبلها.

وذو البصيرة يرى كل الأمور حسنة مهما بدت لغيره سيئة.

ويرى كيف يدبر الناس له المكائد فى ضوء معرفته بآتوم الذى هو وحده يحول الشر إلى خير.

## ١٩ . تعاليم سرّية

**يلخص هرمس فى هذا المتن تعاليمه ويحضنا على التفكر فيما وراء كلماته لنصل إلى معرفة الحقيقة العميقة.**

لقد كانت تعاليم الأديان القديمة أسرارًا، وكان طالبها يقسم يمينًا بحفظها ويعاقب بالموت إذا حنث به، ولكن الواقع أن هذه الأسرار تحفظ نفسها، فهى "معارف مقدسة متاحة" مكتوبة بلغة الطبيعة فى دوران النجوم وتغريد الطير، والإجابة حاضرة لكل من يستطيع النظر والسماع، ولكل عقل برىء من الآراء.

ولقد علمنا **هرمس** بعضا من هذه الأسرار العميقة، فلو لم نكن على استعداد لتلقيها، فلن نفهم منها شيئا، فالكلمات تقودنا إلى أعتاب الحقيقة، ولكن بالتأمل فقط فى مغزاها نستطيع أن نتجاوز الأبواب، فلو تأملنا تلك التعاليم لوجدناها حقا وصدقا، ولو لم نفعل فلن تزيد عن كونها مفاهيم وآراء.

لقد حاول **هرمس** أن يرسم لنا صورة للإله، فلو استطعنا أن نتصور رؤياه، فسوف تتملك تصوراتنا أرواحنا لتقودنا إلى المعرفة. ومن الصعوبة بمكان أن نتخلى عن طرائقنا المعتادة فى فهم الأمور، ولكننا نستطيع أن نولد من جديد بفضل لطف الإله كى نعود إلى مثوانا الأصلى.

والإله كالموسيقىّ الذى يبدع تناسقات الكون، ويعطى لكل منا دوراً ليلعبه، فإذا بدت الحياة لنا نشازًا فليس اللوم على الموسيقى الأعظم، ولكنه يقع علينا، فنحن الأدوات الموسيقية -المترهلة الأوتار- التى يشوب أداءها جمال اللحن.

ويتأمل **هرمس** حالنا عندما نكرّس أنفسنا للمدد الروحى، فإننا بقدرة قادر ننضبط تمامًا فى أدائنا الموسيقى، وهو يعلم أوجه ضعفه، لكن الإله يجعل منه مركبًا لمشيئته الإلهية، ويمكن أن يحبونا أيضًا بذلك لو أصبح لدينا استعداد له.

" والآن بعد أن تعلمت هذه الأسرار، تعهد بحفظها وأقسم على ألا تعلن كيف تتم إعادة الميلاد.

فهذه التعاليم وضعت كى يقرأها فقط من يرغب آتوم فى معرفتهم.

وبالتأمل فقط سوف تدرك أن كل ما قلته لك صحيح، ولن تدرك بغير ذلك ولن تصدقنى.

فالإيمان ينبع من التأمل، والكفر يصدر عن قلة الفكر.

الكلام وحده لا يستطيع التعبير عن الحقيقة، لكن قوة العقل فائقة، وحين يقودها الكلام للتفكر فى الأشياء حتى قرارها فإنها تجد سلام الإيمان الحق.

ولن تفهم تعاليمى إلا بقوة العقل.

لقد رسمت لك قدر استطاعتى شبهًا لآتوم، ولو نظرت إليه بعين قلبك فسوف يقودك إلى معراج التعالى.

سوف ترشدك الرؤيا ذاتها بالقوة المخصوصة بها والكامنة فيها، إذ هى تتملك أولئك الذين رأوها وتأخذ بأيديهم كالمغناطيس الذى يجذب الحديد من الأرض السوداء.

هذه رحلة المعرفة، فسارع إليها.

وبالرغم من صعوبة هجر المألوف للعودة إلى المنزل القديم الذى منه نشأنا، إلا أن لطف آتوم سابغ، وكرمه لا ينتهى.

إنه بطبيعته كالموسيقىّ الذى يؤلف توافقات الكون، ويوحى إلى كل فرد بإيقاعات موسيقاه.

فإذا كانت الموسيقى نشازًا فلا تلم المؤلف، بل أوتار القيثار التى ترهلت لتشوه جمال النغمات.

ولكنى لاحظت أنه عندما يتعامل الفنان مع موضوع نبيل، تصبح قيثارته منضبطة بشكل غير مفهوم، حتى إن عيوبها تنطق بأمجاد موسيقية تدهش سامعيه.



واعترف أن الأمر كان كذلك معى رغم ضعفى، وصارت موسيقاى جميلة بقوة آتوم، وكذلك سوف تصبح موسيقاك كاملة.

ليس هنالك تنافر بين سكان السماء، فليس لهم سوى غرض واحد، وعقل واحد، وشعور واحد، حيث تربطهم تميمة الحب فى كلٍ متناسق.

وسوف يبدو لهم الجانب الأرضى من الكون وقحا وغثا بدون ألحان التسابيح الحلوة.

ولهذا أرسل آتوم جوقة ملائكة الغناء لتعيش بين بنى البشر وتلهمهم بالموسيقى حتى يمجدوا الإله بالتسابيح مع أناشيد السماء.

فلنسبح بحمد آتوم بعرفان عميق، فإنه يقبل كلمات الحمد. "

## ٢٠ . تسبيح لآتوم

**فى هذا المتن الأخير يصلى هرمس صلاة مجيدة لآتوم .**

لقد أخذ هرمس بيدنا بتعاليمه إلى أعتاب الحقيقة، ولم يبق الآن إلا أن يضرب لنا مثلاً بذاته فى نشوته وانعتاقه إلى الرحاب الأعلى، فيهجر ذاته فى متعة تنسكية إلى ممارسة ذاتية بكينونة الرب، فيسبح للإله الواحد الصمد، الذى يحبنا كما يحب الأب أبناءه، وهو فاطر كل شيء: الثبات الخالد الذى يغير الكون، والإحسان الذى يغمر كل ما حولنا، وليس بيدنا إلا شكره على نعمائه بأن نتعلم معرفة عظمته.

إن هرمس يعلم أن الإله هو الذى يسبح بكيانه هو، فالإله هو كل ما نفعل، هو كل ما نقول، وهو كل ما نكون، وهو كل ما يحدث، ولقد صار هرمس مجرد أداة فى مشيئة الإله، ولم يعد يرى العالم بعيون الجسد، ولكنه يشهد تحولات الحياة من خلال العقل الخالد، ولم يعد جسداً، فكله عقل، وهو الحضور الحاضر فى كل شيء وفى كل مكان، فهو يعرف الإله الواحد.

لقد استولت الرؤية الصوفية على هرمس، ويعلم أنه صار ملاكاً وهو ما فتئ فى جسده، فلا يصلى من أجل شيء سوى أن يبقى إلى الأبد عارفاً ومحباً للإله، وقد ولد ثانية، ولم تعد اللغة تكفى للتعبير عن دهشته وأصبح الصمت وسيلته شأن الكائنات الإلهية فى التسبيح بحمد الإله.

" أصلى فى باحة مفتوحة للسماء، مستقبلاً الشرق فى الفجر والغرب فى الغسق،

حتى ينفتح الكون أمامى، ويستقبل الكون كله أصوات تسابيحى.

انفتحى أيتها الأرض العظيمة، وأمسكى همسات أوراقك أيتها الأشجار،

فأنا أهمّ بالترنم بمدائح الواحد الكل.

أيتها العدالة سبحى للحق فى ذاتى،

أيها الصدق سبح للقدوس فى روحى،

أيتها الأثرة سبحى للمهيمن فى صلاتى.

هى كلماتك التى تتغنى بمديحك من خلالى، فالكل منك، والكل إليك.

وتقبل قرابين الكلم هذه من جسدٍ وروحٍ تعاليا إليك، فليس هناك لسان قادر على النطق، ولا يفصح لك سوى الصمت.

أحمدك بقلب فياض، فبلطفك فحسب أدرك نورك وعرفانك.

أشكرك يا من لا يعلم اسمه أحد، يا من نعرفه باسم آتوم، فأنت مولانا.

يا من ندعوه أبًا لأنك أظهرت فى فعالك من الحب لنا والتعاطف معنا ما يظهر لنا الآباء.

بل إن حبك أعظم من حب الآباء، إذ حبوتنا هبة العقل والنطق والمعرفة.

العقل الذى يمكننا من التقرب إليك،

والنطق الذى يتيح لنا أن ندعوك،

والمعرفة التى تهيئ لنا أن نجد الخلاص فى نورك، وتملؤنا بغبطة وجودك.

لاسبيل إلى حمدك سوى بتعلم عظمتك.

تعلمت معرفة جلالك بنور العقل الوضاء.

تعلمت أنك حياة الإنسان الحقيقية.

تعلمت أنك الرحم الذى يلد ذاته.

تعلمت أنك الثبات الأبدى الذى لا يتحرك، ولكنه يحرك الكون بأجمعه.

من ذا الذى يستطيع الحديث عنك؟

من ذا الذى يستطيع الحديث إليك؟

أين أولّى وجهى لأحمدك؟

أنت اللانهائى الذى يحتوى كل المتناهيات.

وليس هناك مكان ليس أنت، فالكل فيك أنت.



ماذا أستطيع أن أقدم لك؟

فأنت كل شىء، تمنح كل شىء، ولا تأخذ أى شىء، ولاينقص منك شىء.

أنىَّ لى أن أحمدك؟

هل أحمدك لما تظهر أم لما تخفى؟

وأنىَّ لى أن أسبح بحمدك؟

فهل أنا حاكم على ذاتى؟

وهل لى ما هو ملكى؟

وهل أنا غيرك؟

فأنت كل ماهو أنا.

أنت كل ما أفعل.

أنت كل ما أقول.

أنت كل ما يحدث.

أنت كل ما لم يحدث.

أنت العقل فى فكرك.

أنت الأب فى خلقك.

أنت آتوم الذى يفعل كل شىء.

أنت الخير والإحسان الأول فى كل مكان.

لقد أفصحت لى عن كينونتك فامَّحيت،

وجعلتنى - بهبة من روحك الخالدة - فى زمرة الكائنات الإلهية، ولم أبرح جسدى بعد، فملأتَنى بالبهجة.

بتسابيحى هذه أعبدك يامن أنت الخير وحدك.

ولا أطلب سوى أن تكون مشيئتك ألا أتحول أبدًا عن عرفانك وحبك، والحياة المباركة فى ظلك.

أبى، يا من وهبتنى تلك الرؤى الخيرة الجميلة، لقد كادت عين عقلى أن تعشى من نور بهائك السرمدى الذى يكسف الضوء المرئى، ولا تحمينى منه سوى رحمتك.

لقد أبدعت فى كيانى كيانًا دون مادة، ألحَقْنى بكيانك الأبدى.

لقد ولدت ثانية فى الفكر، فلم يعد لى الجسد الذى كان لى.

لم أعد ذلك الشىء المجسد الملون.

لقد صرت غريبًا عن كل ما يُرى بعين الجسد.

فتلك العيون لم تعد ترانى.

إننى أداتك، والعقل قيثارتك. وحكمتك تفجر فىَّ الموسيقى،

فأغنى روحى بعد أن مسّنى حبك.

لقد أبدعت منى كائنا جديدًا لم يعد يُرى بعين الجسد ولكنه يُشهَدُ بنور العقل.

وعندما يولد المرء من جديد، يفقد جسديته الملموسة ذات الأبعاد ويصبح كله عقلاً.

أدرك أننى أصبحت الكل،

أننى فى السماء والأرض،

أننى فى المياه والهواء،

أننى فى الوحش والطير،

أننى رضيع،

أننى فى الرحم،

أننى قبل الحمل،

أننى الحضور الحاضر فى كل مكان.

أرى أعماقًا لا قرار لها، فكيف لى بوصف هذه الرؤيا؟

بعقلى أرى العقل،

وأعرف الواحد الذى يستعيدنى من النسيان ،

أرى روحى ،



أخشى أن أنبس ،

لقد وجدت ينبوع القوة لكل القوى التى لا بداية لها .

أرى ينبوعًا يصطخب بالحياة .

إننى العقل فقد رأيت.

وجدت ماكنت أبحث عنه، وجدت السلام بمشيئتك، لقد ولدت مرة أخرى .

لاتكفى اللغة، فالكائنات الإلهية تغنى تسابيحًا بالسكون، وأنا أسبح صامتًا . "

# مراجع المتون

The text is compiled from the following writings which can be found in most versions of *The Hermetica*.

**The Stobaeus.** An anthology of Hermetic excerpts compiled by the scholar John of Stobae in the 5th century.

**The Asclepius.** Dialogue between Hermes and his son, usually printed as the first of the Hermetic books.

**Books 1–18.** The standard Corpus Hermeticum, not including book 15.

**Fragments.** Important Hermetic fragments collected from the writings of many ancient authors, their number varies from edition to edition.

**Nag Hammadi Hermetic Texts.** New Hermetic material discovered amongst the Gnostic gospels found in Nag Hamadi in 1945.

I. **The Prophecies of Hermes**
The Asclepius; the Stobaeus; the Nag Hammadi Hermetic texts

II. **The Initiation of Hermes**
The Asclepius; the Nag Hammadi Hermetic texts; fragments; the Corpus Hermeticum, Books 1 and 3

III. **The Being of Atum**
The Asclepius; the Stobaeus;
the Corpus Hermeticum, Books 2, 4, 6, 9, 12, 13, 14 and 16

IV. **Contemplate Creation**
The Stobaeus; the Corpus Hermeticum, Books 5, 9, 12 and 14

V. **The Living Cosmos**
The Asclepius; the Stobaeus
the Corpus Hermeticum, Books 1, 4, 8, 10, 12 and 17

VI. **The Circle of Time**
The Asclepius, the Stobaeus

VII. **The Gods**
The Asclepius; the Stobaeus; the Corpus Hermeticum, Books 1, 10 and 16

VIII. **The Hierarchy of Creation**
The Corpus Hermeticum, Book 11

**IX. The Creation of Humankind**
The Asclepius, the Stobaeus; the Corpus Hermeticum, Book 1

**X. The Birth of Human Culture**
The Asclepius; the Stobaeus; the Corpus Hermeticum, Book 1

**XI. Man is a Marvel**
The Asclepius; the Nag Hammadi Hermetic texts; fragments; the Corpus Hermeticum, Books 1, 9, 10 and 12

**XII. The Zodiac and Destiny**
The Asclepius; the Stobaeus; the Corpus Hermeticum, Books 3 and 16

**XIII. The Universal and the Particular**
The Asclepius; the Stobaeus; the Corpus Hermeticum, Books 13 and 16

**XIV. Incarnation of the Soul**
The Stobaeus; the Corpus Hermeticum, Book 10

**XV. Death and Immortality**
The Asclepius; the Stobaeus; the Corpus Hermeticum, Books 1, 5, 10 and 13

**XVI. Ignorance of the Soul**
The Asclepius; the Stobaeus; the Corpus Hermeticum, Books 7 and 12

**XVII. Knowledge of Atum**
The Asclepius; the Stobaeus, the Corpus Hermeticum, Books 4 and 12

**[illegible]**
The Stobaeus; fragments; the Corpus Hermeticum, Books 1, 9 and 13

**XIX. Secret Teachings**
The Asclepius; the Corpus Hermeticum, Books 4, 9, 13 ar 18

**XX. In Praise of Atum**
The Asclepius; the Nag Hammadi Hermetic texts; the Corpus Hermeticum, Books 1, 5, 10 and 13



# قراءات أخرى


Armstrong, Karen, *The History of God*, London. 1993

Burkert, Walter, *Greek Religion*, Blackwell, Oxford. 1985

Cronin, Vincent, *The Florentine Renaissance*, Collins, London 1967

French, Peter, *John Dee – The World of an Elizabethan Magus*, Routledge, London. 1972

Guthrie, Kenneth, *The Pythagorean Sourcebook and Library*, Phanes Press, USA 1987

Kingsley, Peter, *Ancient Philosophy, Mystery and Magic*, Clarendon Press, Oxford. 1995

Lamy, Lucy, *The Mysteries of Ancient Egypt*, Thames & Hudson, London 1981.

Yates, Frances, *Giordano Bruno and Hermetic Tradition*, University of Chicago Press, USA. 1964

Yates, Frances, *The Rosicrucian Enlightenment*, Routledge, London. 1972

## محتويات الكتاب


مقدمة – حكمة منسية ........ 13
تاريخ الهرمسيات ........ 15
الهرمسيات فى الإسلام ........ 17
هرمس وصحوة أوروبا ........ 19
دين التوحيد ........ 21
أفول مثلث العظمة هرمس ........ 23
حكمة الفراعنة ........ 25
الهرمسيات فى المسيحية الأولى ........ 27
عقل الإله ........ 29
نسخة جديدة من الهرمسيات ........ 31
١ – نبوءات هرمس ........ 33
٢ – إرشاد هرمس ........ 37
٣ – كينونة آتون ........ 41
٤ – تأمل الخلق ........ 45
٥ – الكون الحى ........ 49
٦ – دورة الزمن ........ 51
٧ – الكائنات الإلهية ........ 53
٨ – تراتب الخلق ........ 55

٩ - خلق الإنسان ........................................ 57

١٠ - مولد حضارة الإنسان ........................................ 61

١١ - الإنسان أعجوبة ........................................ 63

١٢ - البروج والمصير ........................................ 67

١٣ - المعاني والخاص ........................................ 71

١٤ - تجسيد الأرواح ........................................ 75

١٥ - الموت والخلود ........................................ 79

١٦ - جهل الروح ........................................ 83

١٧ - معرفة آتون ........................................ 87

١٨ - الميلاد من جديد ........................................ 91

١٩ - تعاليم سرية ........................................ 95

٢٠ - تسبيح لأتوم ........................................ 99

مراجع المتون ........................................ 105




## المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .